

تأليف

محمود شاكر

المكتب الإسلامي



تأليف
محمود شاكر

المكتب الاسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقيا : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ، وعلى أنبياء الله ورسله أجمعين وَبَعد :

فإن الله قد خلق المخلوقات كلها متفاوتةً في أجسامها ، منها الكبير البيّن كبره ، ومنها الصغير الواضح ، ومنها الذي لا تراه العين إلا بالمجهر ، ولا يعرف العقل وجوده إلا بآثاره التي قد تكون عظيمةً ، فقد يُسبّب مرضاً بإذن الله ، وربما ينشأ عنه مخلوق بأمر الله . كما تتباين هذه المخلوقات بإمكاناتها وقدراتها وحاجة الإنسان إليها . كل ذلك حكمة من الخالق لا تستطيع عقولنا إلا إدراك بعضها ، وعبرة يستفيد منها من وهبه الله التفكير . ﴿ أفلا ينظرون

إلى الإبل كيف خلقت ﴾ الغاشية : ١٧ .

﴿ ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ الحج : ٧٣ .

﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تُريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق ما لا تعلمون ﴾ النحل : ٥ ـ ٨ .

﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرةً نُسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ النحل : ٦٦ .

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل

الثمرات فاسلكي سبُل ربك ذُلُلاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون ﴾ النحل : ٦٨ ـ ٦٩ .

﴿ ومن الأنعام حمولةً وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ الأنعام : ١٤٢ .

﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾ النحل : ٨٠ .

﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ المؤمنون : ٢١ .

﴿ الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ غافر : ٧٩ ـ ٨٠ .

وخلق الله الإنسان وكرّمه على سائر المخلوقات بخلقته وعقله ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ التين : ٤ .

﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ الإسراء : ٧٠ .

وإضافةً إلى هذا التكريم بالخلقة والعقل والتمييز بالفكر فقد سخّر الله لهذا الإنسان كل ما في الكون ، ومنحه القدرة للإفادة من ذلك .

﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخّر لكم الأنهار * وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفّار ﴾ إبراهيم : ٣٢ ـ ٣٤ .

﴿ وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون * وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يذكّرون * وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منها حِليةً تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون * وعلامات وبالنجم هم يهتدون * أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ النحل : ١٢ ـ ١٨ .

﴿ الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرون ﴾ الجاثية : ١٢ ـ ١٣ .

ونتيجة هذا التكريم ، وهذا التمييز ، وهذا التفضيل ، وهذا التسخير أن يُلقى على الإنسان مهمة

في هذه الحياة ، ولا بدّ من أن يُحاسب على أدائها ، ويُسأل عما قام به . ولا بدّ من أن يُعطى شرعاً وهو مجموعة الأوامر والنواهي ليتقيّد بها ، ويسير على نهجها ، ويجزى على ذلك ، وهذه هي العبادة فمهمة الإنسان الأولى في الحياة إنما هي العبادة ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ الذاريات : ٥٦-٥٨ .

أما المهمة الثانية للإنسان في هذه الحياة فهي إعمار الأرض كما أراد الله سبحانه وتعالى امتثالاً لأوامره ، ومادامت تحقيقاً للأوامر فهي أيضاً من العبادة ونوع من الطاعة ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ الملك : ١٥ .

إن الإنسان جزء من هذا الكون ، والكون مسخر للإنسان ، إذن فالإنسان مسخر لأخيه الإنسان ، ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في

الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ الزخرف : ٣٢ .

وتكون خدمة الإنسان لأخيه الإنسان طاعةً ، وقد تكون طواعيةً ، وربما تكون تطويعاً . فالطاعة هي أن يستعمل المرء قدراته العقلية والفكرية جميعها وجوارحه كلها في خدمة بني البشر طاعةً لله وامتثالاً لأوامره في إعمار الأرض ، وتحقيقاً لمهمة الإنسان في الحياة ، وهذا هو العمل المشكور ، الذي له حسن الثواب ، وهنا تكون الحضارة ، وتعيش البشرية في سعادة ، وتهنأ بالراحة ، ويكون كل فردٍ يُؤدّي دوره المخصص له والمهيأ له .

والطواعية أن يستخدم المرء قدراته في سبيل شهرةٍ أو كسبٍ أو منفعةٍ قد تكون غير ظاهرةٍ ويحقق ذلك ، كالطبيب الماهر الذي يقدم خدمات لقاء أجر أو شهرة ، والعالم يبذل جهده ليصل إلى معرفة شيءٍ تخدم الناس ، فهذا يحصل على ما يبغي ، وقد حقق

أجره في الدنيا ، وليس له في الآخـرة من شيءٍ . فما طلبه ناله ، وما سعى إليه حققه ، وانتهى الأمر ، وقد يكون بالأصل لا يؤمن بالآخرة ولا يُفكّر بها ، وإذا كان من المؤمنين بها لكنه لم يجعل عمله طاعةً لله ، ولم يقصد العبادة بل كان هدفه بعيداً عن هذا كله ، فبقي بعيداً . ويكون هنا أيضاً تطوّر علميّ وتقدّم فكري ، وتستفيد منه البشرية إذا استخدمته لمصلحة أبنائها وسعادتهم ، غير أن هذا لم يكن مع الأسف لأنه لم يكن بالأصل خالصاً لله ، ولا طاعةً له ، وما كان مزعزع القواعد لا يمكن أن يقوم عليه بنيان يسعد البشر بسكناه ويهنأ بالإقامة فيه .

والتطويع أن يستخدم المرء قدراته كلها لتطويع الناس لخدمته ، واستعبادهم في سبيل تحقيق هدفٍ له ، وإذلالهم من أجل الوصول إلى مبتغاه ، وتسخيرهم لتأمين رغبات نفسه وشهواتها ، ويكون الظلم والاستبداد ويكون البغي والطغيان ، ويجنح العلم نحو الاستغلال والفساد مع أنه في حالةٍ

من التطوّر والتقدّم ، ويُتاجر به رمزاً ، وهو وسيلة لعبٍ ومباهاة ، وتجنح الحضارة نحو التدنّي وفراغ المضمون مع رفع عنوانها ، والمزاودة بشعارها . وتكون الذئاب الكاسرة التي تنهش كل معترضٍ ، وتفتك بالذي لا يعجبه الوضع ، ولا يقبل به منهجاً للبشرية ووسيلةً لحياتها ، ويرتقي أصحاب الذئاب أبراجهم ويُعلنون إلصاق التهم بأولئك الذين يريدون السعادة للإنسانية ، وإخراجها من حمأة الشرور التي تتخبط بها . ولكن يتغلّب مع الأسف الذين بيدهم الزمام لمايملكون من قوةٍ ، وما على الناس لهم من طاعة ، ولكثرة أصحاب المنافع ، وبطائن المفاسد ، فيظفر الباطل ساعةً ، ويفرح المبطلون ، ويظنون أنهم قد أصبحوا قادرين على السير بالأرض حسب هواهم ، وتسييرها وفق رغبتهم ، ولكن لم يلبثوا أن يروا عملهم هباءً ، وقدرتهم هواء ، وأن ما وصلوا إليه لم يكن سوى فراغ ، وينال كل ما قدمت يداه ، ويتمنى لو أنه كان لا شيء .

﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نُفصّل الآيات لقومٍ يتفكرون ﴾ يونس: ٢٤.

وقد مرت البشرية في تاريخها الطويل بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وهي التي سبقت الإسلام، وقد عاش الناس في جاهليةٍ، استبدّ بهم حكامهم وزعماؤهم، فملكوا كل شيءٍ، وشعرت الرعية بالبؤس، والسادة بالغطرسة، فردّوا دعوات رسل الله، وحكّموا رغباتهم وأهوائهم وشهواتهم، واستمّروا على تلك الحالة حتى جاء الإسلام فأنقذهم مما هم عليه بأمر الله.

المرحلة الثانية: وهي التي طبق فيها منهج الله، واستمرّت ما يقرب من ثلاثة قرون، وهي التي شهد

لها رسول الله ﷺ بالخيرية ، وقد أحسّ الناس فيها بالسعادة ، إذ عمّهم العدل ، وشملتهم السعادة ، وشعروا بالأخوة فيما بينهم ، ومارسوا الرحمة على البشر جميعاً ، وقد سوّى حكامهم بينهم ، وسموا برغباتهم وشهواتهم ، وترفّعوا عن صغائر الأمور وما يتلهّى به أمثالهم .

المرحلة الثالثة : وهي التي أعقبت مرحلة تطبيق الإسلام ، وكان العلم قد تطور ، وأصبح للبشرية رصيد به ، ولكنها جنحت به ، وسخّرته لتحقيق أهداف المستبدّين الطامعين ، ونفث سموم الأحقاد فيمن دارت عليهم رحى الزمان ، فأحسّ الناس بالبؤس في القلب رغم بشاشةٍ صفراء على الوجه ، وبالخواء الفكري رغم امتلاء مكتبات العلم وانتشار الفكر ، وعاشوا بالخوف رغم ادّعاء الأمن ، وبالخوف من الجوع رغم وجود التخمة . وجالت الذئاب الكاسرة في الأرض وعدتها كلها مسرحاً لها ، وظنّتها جميعها حمىً لها فتصيّدت منها ما تشاء ، وجعلت مواطن

الغنى في أملاكها ، والروابي المشرفة في حوزتها ، ووضعت في الأقاليم من يعوي لها ، وتركتهم يرتعون في الأعراض ، ويرعون في الأملاك ، ويمرحون وفق هواهم ومن عارضهم قُتل باسم نظام الذئاب الدولي ، وحمايةً له .

وأذن للذين ظُلموا أن يصحوا ، ويتحرّكوا ، ويمنعوا عنهم حتى تعود لهم الحياة ، ويشعروا بإنسانيتهم التي أفقدتهم إياها تلك الذئاب الكاسرة ، والذين يعوون معها .

أولاً - مرحلة ما قبل الإسلام

خلق الله الإنسان في هذا الكون ، وجعل ما في الكون ملائماً لطبيعة البشر ، أو أنه خلق الإنسان بطبيعةٍ تتلاءم ومعطيات هذا الكون . وجعل الله أسباب حياة الإنسان في البيئة التي يعيش فيها ، ومنحه العقل ليأخذ في هذه الأسباب ، ويعمل على تطويرها لتتحسّن أوضاعه ، ويستمر في التطوير ليرتقي في أساليب الحصول على أسباب الحَياة ، وهذا هو إعمار الأرض ، وزيادة الارتقاء هو ما يُعرف بالحضارة .

وإضافةً إلى العقل الذي منحه الله لبني الإنسان فقد بعث إليهم الرسل ليأخذوا بأيديهم نحو الهداية ، وليعلموهم طرق العبادة ووسائل إعمار

الأرض المختلفة بإشارات وإرشادات نحو السقاية ، والزراعة ، والصناعة ، واستخراج ثروات الأرض الدفينة .

في العبادة : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ النحل : ٣٦ .

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ المؤمنون : ٢٣ .

﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين * قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون * أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون *

فكذّبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين ﴾ الأعراف : ٥٩ ـ ٦٤ .

﴿ وإلى عادٍ أخاهم هوداً ، قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره أفلا تتقون ﴾ الأعراف : ٦٥ .

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره قد جاءتكم بيّنة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوءٍ فيأخذكم عذاب أليم ﴾ الأعراف : ٧٣ .

﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين * إنكم لتأتون الرجال شهوةً من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ﴾ الأعراف : ٨٠ ـ ٨١ .

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم

ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ الأعراف : ٨٥ .

﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾ العنكبوت : ١٦ ـ ١٧ .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ المائدة : ٧٢ .

وفي السقاية والزراعة : ﴿ وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيجٍ ﴾ الحج : ٥ . ﴿ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها ﴾ البقرة : ٧١ .

﴿ وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماءٍ واحدٍ ونُفضّل بعضها على بعضٍ في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ الرعد : ٣ ـ ٤ .

﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً * لنحيي به بلدةً ميتاً ونُسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً ﴾ الفرقان : ٤٨ ـ ٤٩ .

﴿ وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ الأعراف : ١٦٠ .

﴿ أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا

يُبصرون ﴾ السجدة : ٢٧ .

﴿ أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ الواقعة : ٦٣ ـ ٦٤ .

﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء ، لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * يُنبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكرون ﴾ النحل ـ ١٠ ـ ١١ .

﴿ وهو الذي أنشأ جنّاتٍ معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابهٍ كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحبّ المسرفين ﴾ الأنعام : ١٤١ .

<u>وفي الصناعة</u> : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سُبُل ربك ذُلُلاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن

في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرون ﴾ النحل : ٦٨ ـ ٦٩ .

﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآيةً لقوم يعقلون ﴾ النحل : ٦٧ .

﴿ وعلمناه صنعة لبوسٍ لكم لتُحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾ الأنبياء : ٨٠ .

﴿ أتبنون بكل ريعٍ آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ الشعراء : ١٢٨ ـ ١٢٩ .

﴿ وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين ﴾ الشعراء : ١٤٩ .

﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين * والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم

تُسلمون ﴾ النحل : ٨٠ـ٨١ .

﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ الأعراف : ٢٦ .

﴿ وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ النحل : ١٤ .

﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون * ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ هود : ٣٧ـ٣٨ .

﴿ آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً * فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ﴾ الكهف : ٩٦ـ٩٧ .

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم

الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴾ الحديد : ٢٥ .

﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد * أن اعمل سابغاتٍ وقدّر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير ﴾ سبأ : ١٠-١١ .

في التجارة والتخزين : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرةً وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ﴾ سبأ : ١٨ .

﴿ قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ﴾ يوسف : ٤٧ .

وأمثلة كثيرة لا داعي لسردها ، ومجالات متعددة في عمران الأرض .

غير أن الأقوام قد ردّوا دعوة أنبياء الله ورسله بتحريض من زعمائهم وتحت قيادتهم ، وذلك لأن تلك

الدعوة تقف ضدّ مصلحة القادة الذين يستبدون برعيتهم بل يستعبدونهم ، وتحول دون تسخير الحكام لشعوبهم ، حيث تقوم دعوة الأنبياء والرسل جميعاً على عبادة الله وترك كل عبادةٍ دون ذلك . وتمنع عبادة الخلق للمخلوقات ، واستعباد الإنسان للإنسان .

وتبع الناس قادتهم ، فلم يؤمن مع النبي أو الرسول إلا قلّة تحمّلوا الأذى ، وصبروا على الظلم ، وحصلوا على أجرهم ، واتهم القادة الأنبياء والرسل ومن سار معهم بالاتهامات الباطلة كلها وافتروا عليهم الافتراءات ، وأشاعوا الشائعات ، فقست قلوب أتباع القادة من كثرة ما سمعوا ، ﴿ ولقد أرسلنا إلى أممٍ من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرّعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ الأعراف : ٣٢-٤٣ . وتكلّم القادة عن الأنبياء فقالوا وصدقهم الأتباع . لقد قالوا عن نوح عليه السلام :

﴿ قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلالٍ مبين ﴾

الأعـــراف : ٦٦ . وقـالـوا عن هـود عليـه الـسـلام ﴿ قـال الملأ الذين كـفـروا من قـومـه إنا لـنراك في سـفـاهـةٍ وإنا لنظنّك من الكاذبين ﴾ ، وقالوا عن لوط عليه السلام تهكماً واستخفافاً ﴿ ومـا كـان جـواب قـومـه إلا أن قـالـوا أخـرجـوهـم من قـريتكم إنهم أناس يتطهـرون ﴾ الأعراف : ٨٢ .

وهدّدوا إبـراهيـم عليـه الـسـلا م بالحـرق ﴿ قـالـوا حرّقـوه وانـصـروا آلـهـتكم إن كـنـتـم فـاعلين ﴾ الأعراف : ٦٨ . كـمـا هـدّدوا شـعـيـبـاً عليـه الـسـلام بالـطـرد ﴿ قـال الملأ الـذين اسـتـكبـروا من قـومـه لـنخـرجـنّك يا شـعـيـب والـذيـن آمـنـوا مـعـك من قـريـتـنـا أو لـتـعـودنّ في ملّتـنـا قـال أولـو كـنـا كـارهـين ﴾ الأعـــراف : ٨٨ . واتـهـم فـرعـون مـوسى بالـسـحـر [قـال أجـئـتـنـا لـتـخـرجنا من أرضـنـا بـسحـرك يامـوسى ﴾ طـه : ٥٧ . وكـذلك اتـهـم عـيـسى بن مـريم عليـه الـسلام ﴿ وإذ قـال عـيـسى بـن مـريم يابـنـي إسـرائيل إنـي رسـول الـلـه إليكم مـصـدقـاً لما بـين يدي من الـتـوراة ومـبـشـراً برسـولٍ يأتي من بـعـدي اسـمـه

أحمد فلما جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحر مبين ﴾ الصف: ٦ . فاتُّهم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه عليهم ، ومنهم رسول الله ، محمد بن عبد الله ﷺ بالضلالة ، والسفاهة ، والسحر ، والجنون ، والكذب ، والافتراء على الله ، والعمل للزعامة أو الملك و ... .

ونتيجة ردّ الأقوام لدعوة أنبيائهم ورسلهم كانت ميزات هذه المرحلة هي :

١ ـ اقتصرت الدعوة على أفرادٍ قلائل من القوم الذي جاءت إليه الدعوة ، أي بقيت الدعوات مقتصرةً على الأقوام نفسها لم تتجاوزها إلى أقوام أخرى ، وحتى الديانة اليهودية لم تتعد بني إسرائيل على حدّ زعم أتباعها ، وهذا غير صحيح إذ تجاوزتهم قليلاً إذ دخل بعض الخزر في اليهودية ، كما دخل بعض البربر ، وحتى هذا كان على نطاقٍ ضيقٍ ، وخرج نتن العصبية ، ونشأت فكرة سيطرة القوم على بقية الأقوام واستعمال مختلف الوسائل في سبيل ذلك ،

ولو كان على حساب الكرامة والأخلاق ، بل وقتل أمم الأرض جميعهم في سبيل بقاء هذا القوم ، وأصبح من جملة عقائد اليهود ﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ آل عمران : ٧٥ . وعشعشت فيها الوثنية فعبدوا مخلوقات من دون الله ، وادعوا أنهم أبناء الله ﴿ وقالت اليهود عزيز ابن الله ﴾ التوبة : ٣٠ . وسبّبت هذه العقيدة في العصبية النتنة لليهود ، والتصرّفات الناتجة عنها كرهاً لهم من شعوب العالم المختلفة وهذا ما أدّى بدوره إلى زيادة في حقدهم على بقية أقوام العالم ، وزيادة في تعصبّهم ، وتشدّدهم في عقيدتهم العرقية ، وكرههم لبقية الشعوب ، وبالتالي كره الناس لهم .

ورغم أن النصرانية قد خرجت عن دائرة بني إسرائيل إلا أنها نمت وترعرعت في ظل وثنية الرومان فدخلتها الوثنيات من كل الجوانب ، وعبدت عبداً من عباد الله ، واعتقدت ببنوته لرب العالمين ﴿ وقالت

النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يُؤفكون ﴾ التوبة : ٣٠ . ووضعت الصور والتماثيل في الكنائس ، وشرع لهم أحبارهم ورهبانهم ما لم ينزل به الله ، فأطاعوهم وطبقوا ما شرعوا لهم ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ التوبة : ٣١ .

وكذا عمّت الوثنيات في بقاع الأرض المعروفة يومذاك ، إذ قاتلت الأقوام بعضها بعضاً بتحريضٍ من قادتها لإشغال الشعوب عن التفكير ، ولإبقائها في حظيرة الحكام . يستعبد المتسلّطون الرعية ، ويُؤلّه الأتباع المتبوعين . وسلّط الله بعضهم على بعض انتقاماً منهم وجزاءً لهم بتكذيبهم أنبياءهم ﴿ وكأين من قريةٍ عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذّبناها عذاباً نكراً * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً ﴾ الطلاق : ٨-٩ .

وسلّط الله أقواماً أقوياء على من هم أقل منهم شدّةً كان قد سلّطهم على من هم أضعف منهم . ويمكن أن نرى أنموذجاً واضحاً حتى هذا العصر فالبوشمن قد وصلوا إلى جنوب غربي إفريقية إلى صحراء كالاهاري أمام مطاردة الهوتنتوت الذين وقفوا أمام تلك الصحراء ، وهم بدورهم كانوا يفرون أمام ملاحقة قبائل البانتو لهم . وكل فريقٍ عاش منعزلاً في المنطقة التي انزوى مختبئاً فيها من خصومه ، يعيش على ما تؤمنه له البيئة من ضرورات الطعام واللباس والمأوى .

هكذا انتشرت الوثنيات في البقاع المعروفة : منها من يعبد البقر ، ومنها من يعبد الحجر ، ومنها من يعبد البشر ، وهكذا بقي الناس كالسوائم همّهم البطن والفرج .

٢ ـ ترك عمران الأرض نتيجة الظلمات التي تخيم على عقول البشر لتركهم دعوة الأنبياء والرسل ، ولاستعباد طواغيت الأرض لأهل الأرض

ظلماً وتجبراً ، وادعاء بعضهم للألوهية .

لقد عاش الناس في شظف يأخذون ما تقدّمه لهم البيئة لأسباب حياتهم ، وكانت كريمةً عليهم ، تنتج بسخاء إذا نزلت عليها الأمطار حيث لم تفقد خصوبتها بعد ، وتجود بثمارها الوفيرة لسكانها القليلين ، وكانت أنعامها كثيرة ، وخيراتها وفيرة .

وأما الطواغيت المتحكّمون بالبشر حيث يعدّونهم عبيداً لهم يصطفون من النساء ما يشاءون ، ويكلّفون الرجال ما لا يطيقون ، إذ يُجبرونهم على الأعمال الشاقة لعمل ما يتخيّلونه لمصالحهم كالقصور ، والقلاع ، والقبور ، والمعابد ، وهذا جلّ ما خلّفوه من آثارٍ لنا . ولما كان هذا فوق طاقة بني الإنسان في ذلك العصر لذا فقد كان السوط يكوي ظهور العاملين ، والسيف يحصد رقاب من يُفكّر بالرفض أو التمرّد ، ومع الأسف فإن بعض من يدّعي العلم قد عدّ هذه الآثار من الحضارة على الرغم من أنها قامت على دماء وعرق البائسين المستعبدين ولم

تكن لخدمة البشر ، وإنما لمصلحة من سكن فيها ، أو دفن بها ، أو دافع عن نفسه بها وحمى عرشه ، ولم يستفد منها إلا من أقيمت له . ولم يكن بناء المعابد إلا بأمر وتوجيه من الكهنة الذين كانوا يُشاركون الطواغيت في الظلم ، ويُعلنون للرعية صحة ألوهية الفراعنة تقرباً وزلفى ، والفن المعماري وغيره من معطيات عمران الأرض لا يعدّ حضارةً إن جنح عن خطه الرئيسي في إسعاد من قام به ، وراحة من شاده .

تلك أهرامات الفراعنة في الجيزة التي شيدت كمدافن لهم ، وتلك معابدهم في الأقصر . وتلك آثار أفاميا ، وبعلبك ، وتدمر ، وتلك قصة عمرانها ، وكلها من الأحجار الضخمة الصماء التي أجبر البشر على رفعها على السطوح المائلة ليسعد بها الطغاة .

وتلك المدارج والمسارح الرومانية المنتشرة في البلدان التي كان يحكمها الرومان أقيمت ليسعد الطغاة بمشاهد الرقص ، ورؤية من يعجبهم من

النساء ليصطفونهن .

وتلك تماثيل الطغاة وعشيقاتهم ، وقد صنعت من البرونز الذي عرفه الناس ، وجدّوا في معرفته لتحقيق أغراض السادة كرهاً ، أو خوفاً من الموت ، أو أملاً بالحصول على منفعةٍ .

٣ - وُجد بعض أولئك المترفين الذين كانوا قريبين من الطغاة أو قرّبوهم إليهم للإفادة من آرائهم المفيدة ، وأفكارهم الجيدة ، فأنعموا ، وانصرفوا إلى تدوين بعض أفكارهم . أوملاحظاتهم ، أو تجاربهم ، فأفادوا من ذلك منفعةً ، وشهرةً ، وتقرّباً من الحكام . ولعلّ المناطق التي كان الطغيان فيها قليلاً كانت أكثر البقاع التي برز فيها أمثال هؤلاء البارزين الذين أعطوا أكثر من حقهم في الدعاية ، والحديث عن إنتاجهم وأفكارهم وآرائهم ، وكانت بلاد الإغريق موطن أكثرهم من أمثال سقراط ، وأرسطو ، وأفلاطون ، وابيقراط و ... .

وعلى كلٍ فإن وجود قلةٍ من هؤلاء من أصحاب

الرأي لا يدل على شيوع العلم وتطوره ، فإن الندرة لا تمثّل مجتمعاً أو عالماً كاملاً .

ثانياً - مَرحَلَة الإسْلام

وبُعث آخر الرسل ، وهو محمد بن عبد الله ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكانت دعوته للناس كافةً ، على غير دعوات إخوانه الذين أُرسلوا من قبله ، إذ كانت دعوة كل واحدٍ خاصةً بقومه . وحاول الطواغيت في ذلك العصر أن يردّوا الدعوة كما ردّ الطواغيت الذين سبقوهم ، وأن يحولوا دون انتشارها ، ودون إخراجها من مكان انبعاثها ودون انطلاقها ، ولكن لا رادّ لأمر الله ، وقد قضى لها بالتوسّع .

انتشرت الدعوة ، وأقيمت دولة الإسلام بأمر الله ، وطُبّق المنهج الذي قضى الله به أن يُطبّق وكانت الحياة السعيدة التي أرادها الله لخلقه ، فنعم

الناس بالعدل ، والمساواة ، والحرية ، والأمن ، وكان العلم ، وكان عمران الأرض ، وترعرعت الحضارة ، وأزهرت ، وتفتحت ، وأثمرت ، وأينعت ، وكانت القطوف ، وقطفت منها البشرية ما أشبعت نهمها ، ونهلت الإنسانية منها ما أروت ظمأها ، حتى جاء أمر الله فتحركت الأحقاد ، وضربت بما أخذته المصدر الذي قدّم لها فجنح العلم عن مساره ، وأظلمت الدنيا بعد إضاءة ، وإن بقي لهب بين الدخان الكثيف يُعطي ضوءاً خافتاً ، وينشر اصفراراً باهتاً ، يحسبه الأعشى شعلةً متوهجةً ، وشمساً ساطعةً ، ويُسمّيها حضارةً يرتع فيها لاهياً عرياناً تحت عنوان التحرر ، ويبطش متجبّراً تحت مظلّة النظام الدولي ، ويعتدي وينهب تحت شعار مصلحة الحضارة ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ولما كانت الحضارة هي مسار العلم المستقيم ومنطلقه هو الإسلام . كان لا بد من إلقاء ضوءٍ على ذلك المنطلق لنتعرف على المسار الصحيح الذي يقوم

على الحق ، والمساواة ، والعدل ، والأمن ، والحرية ، والعلم ، وبهذه يتم عمران الأرض ، وتسعد الإنسانية .

الحق : إن الله هو الحق ﴿ ثم ردّوا إلى مولاهم الحقّ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ الأنعام : ٦٢ . ﴿ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ يونس : ٣١ . ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ الحج : ٦٢ .

وخلق الله السموات والأرض بالحق ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾ الأنعام : ٧٣ .

وأنزل الملائكة بالحق ﴿ ما ننزّل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين ﴾ الحجر : ٨ .

وأرسل رسله بالحق ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ البقرة : ١١٩ .

﴿ وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافلٍ عما يعلمون ﴾ البقرة : ١٤٤ .

وأنزل الله الكتاب بالحق ﴿ نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدىً للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ﴾ آل عمران : ٣ ـ ٤ .

وجاءت رسل الله بالحق ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ الأعراف : ٤٣ .

ووعد الله حق ﴿ ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ يونس : ٥٥ .

وهذا ما يجب أن يعرفه الإنسان في هذه الحياة الدنيا فإذا أيقن به فقد سار في طريق الهداية وإن أنكره سار في درب الضلالة ، ومن هنا كان المسلمون لا يسمحون للناس أن يعيشوا في المجتمع الإسلامي أو الذي يدين للمسلمين بالطاعة إلا إذا كانوا يعرفون

الحق . ولما كان من المفروض أن يكون اليهود والنصارى والمجوس يؤمنون بوجود خالقٍ لهذا الكون ، وإرسال الرسل للخلق ، ودعوتهم لأقوامهم إلى الحق لذا فقد سُمح لهم بالبقاء ضمن المجتمع الإسلامي ، وفي رعاية وعناية المسلمين لهم ، مع أن هذه الديانات قد انتقلت إلى وثنيات كما رأينا إذ ألّهوا رسلهم ، وبالأصل أن يعرفوا الحق . ولم يسمح المسلمون لغير هذه الفئات بالبقاء في المجتمع الإسلامي ، وإنما عليهم اختيار الإسلام أو إحدى هذه الديانات أو الارتحال من ديار الإسلام ، ولا إكراه لهم في اختيار أية ديانات من هذه الديانات ﴿ لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ البقرة : ٢٥٦ . ويعيشون ضمن المجتمع الإسلامي ، وحيثما ارتحلوا ، وفي أي مكانٍ نزلوا فلا بد من أن تصل إليهم الدعوة ـ بإذن الله ـ وأن يُلاحقوا ، وأن يُطلب منهم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، وهكذا حتى يعمّ

الإيمان بالله الأرض كلها ، ومن أجل هذا قامت الدعوة إلى الله . وهذه هي المرحلة الأولى .

أما المرحلة الثانية فهي قبول الإسلام فإن وجود هذه الفئات غير المسلمة (اليهود ـ النصارى ـ المجوس) في ديار الإسلام ، وحياتهم في كنف الأمة المسلمة ، وتحت رعايتها وحمايتها فلا بدّ لهم من أن يتأثّروا بما يروا من صدق الإيمان ممن يعيشون معهم ، كما لابدّ لهم من أن يتعرّفوا على باطل أنفسهم ، ويعملوا على تركه ماداموا أنهم يؤمنون بالأصل بوجود خالقٍ ، وحسابٍ في النهاية على الأعمال التي يقوم بها الإنسان في هذه الحياة الدنيا . هذا الأصل أن هذه الديانات قد شغلت أهلها دنياهم ، وأضلّهم رجال الدين عندهم ليحظوا بشيء من الدنيا ، وهذا ما نراه اليوم إضافة إلى الوثنيات التي دخلت العقيدة ـ كما سبق أن ذكرنا ـ وتحريف الرهبان والأحبار لكلام الله ، وإدخال عقائد جديدة باطلة على ديانتهم .

وكان المسلمون المجاهدون لا يدخلون قتالاً مع

فئة كافرة إلا ويعرضون عليهم ثلاثة اختيارات وذلك قبل بدء القتال ، وهي :

أ ـ الإسلام : وعندها يصبحون جزءاً من الأمة المسلمة لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، فإن رضوا تركوهم ، وعادوا إلى ديارهم بعد أن يتركوا لهم من يعلمهم أصول الدين ، ويفقههم ، ويكون هؤلاء الدعاة أيضاً سنداً للوالي الذي يتركه المسلمون فيما إذا حاول أهل البلاد الذين قبلوا الإسلام الخدعة ، ويكون ما أظهروه حيلةً .

ب ـ الجزية : وهي لا تُؤخذ إلا من اليهود والنصارى والمجوس ، دلالةً على قبولهم حماية المسلمين ، ورضاهم بالحياة ضمن المجتمع الإسلامي ، وحتى لا يكون رضاهم مجرد خدعة ، ثم ينقضّون على المسلمين بعد أن يأمنوا لهم . وفيها أيضاً مشاركةً بالدفاع عن البلاد ، لأن غير المسلمين لا يُقبل منهم مشاركة بالجهاد ، ولا اشتراك بالجيش والقوات المسلحة بمفهوم هذا اليوم . ويتصوّر بعضهم اليوم أن

هذا ميزة لهم على حين أن القصد من الجزية الإذلال ، كما تخبر الآية الكريمة ﴿ حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ التوبة : ٢٩ . فالواقع أن عدم قبول جماعةٍ من السكان في الجيش فيه إذلال لها إذ فيه إشارة إلى عدم الثقة بها ، وقد وجدنا أن الفئات غير المسلمة التي كانت تعيش في المجتمع الإسلامي لم يكن يُسمح لأفرادها بالتطوّع في الجيش ، أو المساهمة بالقتال مدة الحكم الإسلامي بغضّ النظر عن ضعفه أو عدم تطبيق الشرع في جميع مجالات الحياة أي إلى يوم إلغاء الخلافة في ٢٧ رجب ١٣٤٢ (٣ آذار ١٩٢٤ م) . فلما أُلغيت الخلافة ، وأعلن إبعاد الشريعة عن نظام الحكم ، أو سيطر المستعمرون كان أول عمل قام به الصليبيون المستعمرون أو أعوانهم الذين تسلّطوا على المسلمين السماح لغير المسلمين من نصارى وفرقٍ ضالةٍ بالانتساب إلى الجيش فأسرعوا للانضمام إليه برغبةٍ شديدةٍ ، وطمعٍ واضحٍ حتى تمكّنوا من السيطرة عليه في بعض الأمصار وحكموها .

وتؤخذ الجزية من المسالمين أو ممن بقوا على عهدهم دون أن يحدثوا أمراً في عهدهم كأن يمالئوا عدواً ، أو يظاهروا خصماً ، أو يعتدوا على المسلمين ، أو يدخلوا إلى ديار المسلمين ما حرّم الله ، أو يُجاهروا بشرب الخمر ، أو أكل لحم الخنزير ، أو تقديس الصليب ، أو بناء كنائس جديدة دون السماح لهم . أما المحاربون أو الذين ينقضون عهدهم ، ويبدون العداوة فلا تُؤخذ الجزية منهم ، ويقاتلون ، ويُخرجون من ديار الإسلام .

٣ ـ السيف : إن الذي لا يقبل الحق لا يريد إلا الضلال ، وهذا لا بدّ من قتاله وإلزامه على قبول الحق . فمن لا يعرف المنعم عليه بل يُنكره مع وضوح النعم وآثاره ، ومن لا يشكر من يسدي إليه الخير ، ويمدّه بأسباب الحياة لا بدّ من قتاله وأخذه بالطريق المستقيم قسراً إن تمنّع . وإن في رفض الحق تحدياً صريحاً لمن يدعوه فيجب إخضاعه وإكراهه للإذعان بالحق ، وإذلاله ليقرّ بالطاعة والسير في طريق الحق .

المساواة : خلق الناس جميعاً من أصلٍ واحدٍ ، من أبٍ واحدٍ ، هو آدم ، ومن أمٍ واحدةٍ ، هي حواء ، ثم توزّعوا في الأقاليم فكانوا شعوباً وقبائل ، وتناثروا في الأرض فكانوا عروقاً وأجناساً ، وتشتّتوا في البيئات فكانوا ألواناً ، ولكنهم جميعاً سواء . إلا أن الجاهلية على اختلافها قد ميّزت بين الناس ، وجعلتهم طبقات . وجاء الإسلام فأخذ بمبدأ المساواة ، فكان الناس كلهم سواء ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ الحجرات : ١٣ . ويقول رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع : (يأيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى) ، ونحن لنا في الحياة الدنيا ، ونفاضل اجتماعياً بالتقوى ، والله يعلم السرائر ، وهو الذي يحاسب في الآخرة ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

لا فرق في الإسلام في النسب ، ولا في اللون ، ولا في الإقليم ، ولا في الجنس ، ولا في اللغة ، ولا في الثروة ، ولا في المنصب ، فالناس سواسية كأسنان المشط ، كما قال ﷺ . وإذا وجد هذا التمييز من بعض الجوانب في العصور المتأخرة بعد انزواء بعض السلطات ، وبعض الناس عن الإسلام ، فهذا بعيد عن الإسلام الذي لا يقرّ هذا ولا يعترف عليه .

العدل : لما كانت المساواة قائمةً بين الناس فالعدل أمر طبيعي بينها ، وقد أمر الإسلام أبناءه ألا يتأثّروا بقرابة فيبتعدون عن الحق ، لا ينتبهون إلى خصومةٍ أو إلى تصرّف بعض الناس فيجعلهم ذلك يحيدون عن الطريق المستقيم ﴿ وإذا قُلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكّرون ﴾ الانعام : ١٥٢ . و ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنّكم شنآن قومٍ على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ المائدة : ٨ . وسرقت امرأة

من بني مخزوم ، الأسرة المعروفة ، واقتضى حكم الإسلام بإقامة الحدّ عليها بقطع يدها ، وصعُب الأمر على الذين دخلوا بالإسلام حديثاً أن تقطع يد تلك المرأة ، ولكن لم يجرؤ أحد أن يكلم رسول الله ﷺ في هذا الموضوع ، ورأوا أن يكلموا حِبّ رسول الله ﷺ وابن حِبّه ، أسامة بن زيد بن حارثة فيشفع لها عند رسول الله ﷺ . ففعل وهو شاب في مقتبل العمر ، وقد خجل ممن كلمه ، فلما حدّث رسول الله ﷺ قال له عليه الصلاة والسلام : (أتشفع ياأسامة في حدٍّ من حدود الله ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) . فاعتذر أسامة ، واسترجع ، وتاب إلى الله .

وقد لُعن بنو إسرائيل لأنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحدّ . ﴿ لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون* كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا

يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولّون الذين كفروا لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾ المائدة : ٧٨ ـ ٨٠ .

الأمن : ولما كانت المساواة قائمةً ، والعدل قائماً ، وتطبيق الحدود جارياً كان لا بدّ من أن ينتشر الأمن ، ويسود النظام ، ولم تكن إقامة الحدود إلا للردّع فلا تحدّث نفس أحد بالتجرؤ على النظام لأن الحدّ لا بدّ واصل إليه إذا لا يمنعه منه منصب ، ولا يحول بينه وبينه قرابة ، ويكفي أن نذكر حادثةً واحدةً .

قال أنس : كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاء رجل من أهل مصر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا مقام العائذ بك ! قال : ومالك ؟ .

قال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل ، فأقبلت فرسي ، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو ، فقال : فرسي ورب الكعبة . فلما دنا مني عرفته فقلت : فرسي ورب الكعبة . فقام إليّ يضربني بالسوط ، ويقول : خذها وأنا ابن الأكرمين .

وبلغ ذلك عمراً أباه ، وخشي أن آتيك فحبسني في السجن ، فانفلتُّ منه ، وهذا حين أتيتك . فو الله ما زاد عمر على أن قال : اجلس . ثم كتب إلى عمرو : إذا جاءك كتابي هذا فأقبل ، وأقبل معك بابنك محمد . وقال للمصري : أقم حتى يأتيك . فدعا عمرو ابنه ، فقال : أأحدثت حدثاً ؟ أجنيت جناية ؟ قال : لا . قال : فما بال عمر يكتب فيك ؟

فقدم على عمر .

قال أنس : فوالله إنا عند عمر ، إذ نحن بعمرو قد أقبل بإزارٍ ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه ، فإذا هو خلف أبيه .

فقال : أين المصري ؟

قال : ها أنذا .

قال : دونك الدرّة فاضرب بها ابن الأكرمين ، فضربه حتى أثخنه ، ونحن نشتهي أن يضربه ، فلم ينزع حتى حببنا أن ينتزع من كثرة ما ضربه ، وعمر

يقول : اضرب ابن الأكرمين .

ثم قال عمر : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه .

قال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت . يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني .

قال عمر: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه . أيا عمرو ! متى تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

فجعل عمرو يعتذر ويقول : إني لم أشعر بهذا .

ثم التفت عمر إلى المصري وقال : انصرف راشداً فإن رابك ريب فاكتب إليّ .

وبتطبيق شرع الله ساد الأمن وخيّم على ديار الإسلام .

الإنسان الفرد : الفرد هو اللبنة الأساسية في المجتمع ، له كيانه الخاص ، ولكن لا يفسح له المجال

ليفسد بإعطائه الحرية المطلقة ، ولكن لحريته حدود تنتهي حيث تبدأ حرية الآخرين ، وفي الوقت نفسه لا يطغى عليه المجتمع فيسحقه ، ويفقده كيانه ، ويجعله ذرة تدور في أفلاك الآخرين والتيارات المتلاطمة دون أن يكون له فكر يستعمله ، أو عقل يرشده ، ويسمو به ، ورأي يختار به فيميز بين الصالح وغيره ، وبين الخير والشر ، فيُبيّن للآخرين ما هداه الله إليه ويُدلي بالحجج والبراهين وقد ينصح الأمة ويأخذ بيدها نحو طريق الخير ، بعد أن فكّر مالم يُفكّر به غيره ..

والفرد قيّم على نفسه ، يتحمل تبعة عمله ، ويُسأل عن ذلك ، لا يحمل وزر غيره ، ولا يتحمّل غيره وزره .﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ الأنعام : ١٦٤ .

ومع أن الفرد له كيانه الخاص لكن لا يحق له قتل نفسه تهرّباً من الواجبات أو تخلّصاً مما قد يبتلى به ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : من تردّى من جبلٍ فقتل نفسه ، فهو في

نار جهنم يتردّى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسّى سماً فقتل نفسه ، فسمّه في يده يتحسّاه في نار جهنم ، خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدةٍ ، فحديدته في يده ، يتوجأ فيها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وعلى الرغم من كيان الفرد الخاص إلا أنه ملك للأمة فإنتاجه لمصلحتها ، وتفكيره لخدمتها ، وعمله ثروة لها ، ومن هنا لا يحق للفرد أن يجلس دون عمل مهما كان ذا غنىً ، ولا أن يضيع وقته دون فائدة ، وهو محاسب في ذلك في الدنيا أمام أولي الأمر ، وفي الآخرة أمام الله ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى بقلبٍ سليمٍ .

لايحق للفرد أن يتحدّث بما يضرّ مصلحة الأمة ، أو بما يخدم أعداءها من أسرار المسلمين ، أو اطلاعٍ على عوراتهم ، وما ينطبق على الكلام يجري على الكتابة .

ولا يحق للفرد أن يلبس ما يؤذي المجتمع كأن يلبس الرجل لباس المرأة أو العكس ، أو يرتدي غير ما تعارف عليه المجتمع ، أو يظهر أكثر جسمه ويتجول في الطرقات ، أو تبدي المرأة مفاتنها وتميس في الشوارع باسم الحرية ، والمدنية ، والتقدمية وغيرها من الاصطلاحات الوافدة علينا من الأعداء .

ولا يحق للإنسان أن يبني في الشارع باسم الحرية فيسد على الناس الطرقات ، أو يتطاول في البنيان فيحجب النور والهواء عن الجوار ، أو يحفر الدروب ، أو يحول دون وصول المياه إلى مستحقيها . ولا يحق للمرء أن يبيع منتجات الأمة إلى أعدائها ، ولا يُروّج لبضائع العدو في محيطه الذي يعيش فيه ، ولا يضع أمواله لتستثمر في بلاد الكفر وأمته بحاجة إليها ، ولا يأتي بأموال الكفار ليقيم فيها مشروعات بدار الإسلام فتصبح خيراتها لهم .

ولا يجوز للفرد ـ إن كان مسؤولاً ـ أن يذلّ من

كان تحت سلطته ، فيمنع الدعوة ، ويكبت الحريات ، ويحول دون تنقّل المسلمين ، ويسعى في إفقار الرعية كي تخضع له ، ويتمكّن من السيطرة عليها ـ حسب دعواه ـ أو يحول دون تأمين العمل للناس ، ويجعلهم يلهثون وراء حاجاتهم فتراهم أرتالاً أمام المخابز ، ومواقف السيارات ، وأمكنة الحصول على المواد الضرورية ، والجوازات ، والتأشيرات و ... فإذا ذلّ الشعب خضع لكل طاغيةٍ ، وعجز عن تحرير الناس من الظلم ، والأرض من المعتدين ، فالتحرير لا يتمّ بالعبيد .

هذا الإنسان يجب ألا يظلم ، ولا يُحقّر ، ولا يُسخر منه ، ولا يخوّف ، ولا يُروّع ، ولا يمسّ في عرضه ، وذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم﴾ الشورى : ٤٢ .
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن

خيراً منهم ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ الحجرات : ١١ ـ ١٢ . وعن أبي ذرٍ ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ...) أخرجه مسلم ، وأحمد في مسنده . ومن الظلم إذلال الناس ، والضغط على حرياتهم ، ومحاولة إقلال الموارد والحاجات الضرورية عليهم ، وحصرهم في أماكن لا يمكن تجاوزها . وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (إياكم والظنّ فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسّسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً) متفق عليه ، وقال ﷺ أيضاً : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى

هاهنا - ويُشير إلى صدره ثلاث مراتٍ - بحسب امرىءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) متفق عليه . ولا يقف المسلم أمام رغبات إن كانت ضمن الحدود المرسومة له .

المجتمع : يتألف المجتمع من مجموعة الأفراد ، ولذا لا بدّ من أن يكون هناك تعاون بين الفرد والمجتمع ، فإذا فسد فرد واحد ظهر أثره على المجتمع عامةً فبان عواره ، وتهدّم كيانه ، فوجب أن يكون توازن بين الكيان وأعضائه الذين يتكّون منهم فلا يطغى الفرد بسلطانه على المجتمع فيذلّه ، أو بسوء تصرّفاته فيمزّقه ، ولا يطغى المجتمع على أيٍ من أعضائه فيذُيبه ، ويفقده كرامته .

يمنح المجتمع أعضاءه الحرية الكاملة ضمن الحدود المرسومة لهم ، فإذا منعها عنهم أفقدهم الإبداع ، في الفكر ، وقتل فيهم الطموح ، وجعلهم يعيشون خانعين يقبل ما يُملي عليهم ، ويمكن أن

يخضعوا لكل طاغٍ أو دخيل ، ويمكن أن يتسلّط عليهم أي مغامر .

ويعطي المجتمع أعضاءه حق الملكية التي هي غريزة طبيعية وجدت مع الإنسان ، فإذا مُنعت عنه عاش في ذلٍّ ، وفقد آماله ، وقلّ إنتاجه ، وبالتالي ضعفت الأمة ، ولكن هذا الحق يجب ألا يصل إلى حدّ الطغيان ، فيحتكر قوت المجتمع ، ويستحوذ على المال بأي وسيلةٍ ولو كانت محرمة كالربا ، وبيع المحرمات ، ثم يُسخّر المجتمع كله لخدمته ، ويدوس بعدها على الآخرين ، وتصبح مقاليدهم كلها بيده .

وعلى المجتمع أن يؤمن العمل لأفراده ، وإذا عجز أحدهم على العمل كان من واجب الذين بيدهم الأمر أن يُعطوه ما يكفيه . وفي الوقت نفسه يمنعون أي فردٍ قادر أن يجلس دون عمل مهما كانت ثروته ، لأن إمكاناته من مصادر ثروات الأمة ولا يصحّ الاستغناء عن هذه المصادر ، ولما كان الفرد يُقدّم في شبابه للمجتمع طاقاته كاملةً كان من حقه أن ينال من

المجتمع عطاءه حين لم يعد قادراً على العمل .

والمجتمع ممثلاً بالسلطة مسؤول عن تأمين حاجات أعضائه من أساسيات الحياة ومقتضيات العمل كالمواصلات ، والنور ، والتعليم .

إذن هناك توازن في الإسلام بين الفرد والمجتمع فلا تطغى حرية الفرد حتى تُسىء إلى المجتمع ، ولا تتوسّع سلطة المجتمع حتى تذيب شخصية الفرد ، وتسحقه في آلة سلطتها ، والمسؤول خادم للفرد والمجتمع على حدٍّ سواء ، لا مترفعاً عنهما ولا متعالياً .

المرأة : عضو في المجتمع لا يختلف عن الرجل ، غير أن بنية جسمها التي تميل إلى اللين ، ونفسيتها التي تنزع نحو العاطفة جعل مهمتها في الحياة تتجه لتأدية دورٍ معينٍ جُبلت له بطبيعتها وهو التربية ، وإذا دعت الحاجة يمكنها أن تُؤدّي أي دور ضمن الخطوط المهيأة لها بالفطرة .

كما أن من مهمة المرأة في الدنيا أن تكون زهرة حياة الرجل يسكن إليها ويجد فيها متعته ، ولبنية الرجل القوية ، وميله إلى المرأة ، ولعاطفتها ، وضعفها ، وأنوثتها ، وفتنتها اقتضت الحكمة أن تستر مفاتنها عن الرجل ، وتحتجب عنه ، وتعيش في محيطٍ خاصٍ بها بعيد عن الغرباء من الرجال ، حرصاً على حفظ النسل ، وبعداً عن الصراع الذي يحدث على الجنس .

ويتكامل العمل بين الرجل والمرأة حسب الفطرة التي فُطرا عليها فيعمل الرجل خارج البيت حيث العراك مع الحاجات ، والصراع مع الرجال ، والفوضى ، والتعامل مع الأعمال الشاقة التي تناسب بنيته ، وتعمل المرأة في البيت حيث الهدوء ، والتنظيم ، والتربية ، وترتاح نفسها إلى مداعبة الصغار وتهيئة مستلزمات البيت ، ويعود الرجل إلى بيته ليجد السكينة ، واليد الحانية التي تمسح عنه ما كابده في عمله ، وتزيل من نفسه ما وجده في شغله . وللمرأة الحقوق نفسها التي للرجل في الشخصية

الاعتبارية ، والتملك ، والتصرّف بما تحوز عليه ، والشهادة ، والرأي في الزواج من موافقةٍ ورفضٍ. وهي مسؤولة في الدنيا فيما تُؤدّيه وتقوم به ، وفي الآخرة عما كسبت في دنياها من حسنات أو سيئات ، وهي في عبادتها لا تختلف عن عبادة الرجل إلا في الحالات التي تتعرّض لها النساء أثناء الدم الذي يُصيبها شهرياً وفي حالة الوضع .

الأخوة : الأخوة في الدم ذات أثرٍ كبيرٍ ، وهي تزيد من مسؤولية أخوة العقيدة إذ غالباً ما تكون إخوة الدم إخوةً في العقيدة ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض عندما يكونوا من عقيدةٍ واحدةٍ أما إن كانوا من عقيدتين مختلفتين فلا صلة بينهم بل ولا توارث بينهم .

فالمسلمون جميعاً إخوة ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الحجرات : ١٠ ، والأخوة أن تشعر أنك وأخاك المسلم على قدم المساواة في كل شيء ، وأنك تحبّ له ما تحب لنفسك (لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ

لنفسه) متفق عليه . ويتأكّد هذا المعنى يومياً خمس مرات أثناء الصلاة في المسجد حيث يصطف المسلمون جميعاً في صفٍ واحدٍ ، دون تقدّمٍ أو تأخّرٍ ، ومن غير تمييزٍ بين رجلٍ وآخر حسب أي اعتبار من اعتبارات الدنيا كلها .

وليست هذة الأخوة نظريةً ، أو عاطفيةً ، أو معنويةً فقط بل وماديةً وحسب المعاني الأخوية جميعها ، حيث لا تجد في المجتمع الإسلامي فقيراً إذ تُقدّم للمحتاج المساعدات غير الزكاة والصدقة ، وتُقدّم كشعورٍ بالأخوة من غير مِنّةٍ أو تفضّل ، وما من مريض إلا ويُعاد وينظر في أمره إن كان بحاجة . ويُشارك الناس بعضهم بعضاً في السّراء والضراء ، فهم جميعاً إخوة ، وكتلة متراصة .

ولا يقتصر الأمر على فئةٍ واحدةٍ بل يشمل فئات المجتمع جميعها ، بل لا يوجد في المجتمع الإسلامي فئات وإنما هو فئة واحدةٍ ، يدخل ضمنها وفي عدادها الأجراء ، والعبيد ، والقادمون للعمل من خارج الإقليم

مـادامـوا من المسلمين ، قـال أبو ذر الـغـفـاري ، رضي الله عنـه ، : «إنـي سـاببت رجلاً فـعيّرتـه بـأمـرٍ فـقال لي الـنـبي ﷺ : (يا أبا ذر إنك امـرؤ فـيك جـاهـلـيـة ، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فـليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلّفـوهـم مـا يـغلبـهـم فـإن كلّفـتـمـوهم فـأعـينوهـم) رواه البخاري .

ومع هذه الأخـوة ، ومـع هذا الـتـضـامـن فـقـد يـقـع أخـطاء مـن فـرد أو جـمـاعـة ، وهـنـا يـتـدخل الأفـراد ، وتـتـدخل السلطة المسـؤولة ، وتـصلح بـين الـفـريـقين ، حـتى يـثـوب المخطيء إلى رشـده ، ويـرجـع الـبـاغي عن غـيـه ، ويـعـود إلى الحق ، وإلى حكم الله . وربما يـعـود مـبـاشـرةً المرء عن خطئـه دون أن يُـنبّـهـه أحد ، فـيـروى أن أبا ذرٍ الـغـفـاري أخطأ ذات مـرةٍ وقـال لـبـلال يا ابن الـسـوداء ، فـشـكا بلال ذلك إلى رسـول الله ﷺ فـقال عليـه الصـلاة والسـلام لأبي ذر : (يا أبا ذر إنـك امـرؤ فـيك جاهـلـيـة) ، فـأسـرع أبـو ذر إلى أخيه بلال ، ووضـع

خدّه على الأرض وطلب منه أن يضع رجله على خدّه الثاني كي لا يعود إلى غلطته أبداً . وعن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قيل : يا رسول الله نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : (تمنعه من الظلم ، فذلك نصرك إياه) رواه البخاري . ويقول الله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ الحجرات : ٩ .

فالمؤمن الصادق إذا أخطأ وذُكّر، رجع عن خطئه ، ومنعه إيمانه من التمادي في الخطأ .

المسؤولية : يعتقد المسلم اعتقاداً يقينياً أنه مراقب في كل عمل يقوم به من قبل الخالق الذي لا تخفى عليه خافية في السماء ، ولا في الأرض ، لذا يعمل بإخلاص ، ويحرص أن يكون عمله متقناً ، لأنه مسؤول عن هذا ، ولا إخفاء شيء فكل أمرٍ معلوم ، ولا

يمكنه أن يتهرّب من المسؤولية إذ لا يملك سوى الإذعان والحجة دامغة واضحة أمام عينيه ، فليست القضية أمام قانون ، وليست المسؤولية أمام إنسان لذا فالمسلم دائماً خائف من أن يُقصّر في عمله فيُحاسب حساباً عسيراً . فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يقول : والله لو أن بغلةً عثرت على شاطىء الفرات لأخشى أن يسأل الله عنها عمر لم لا يُسوّي لها الطريق .

يقول رسول الله ﷺ : (كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم ، وهو مسؤول عنهم ، والرجل راعٍ على أهل بيته ، وهو مسؤول عنهم ، وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولدها ، وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده ، وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته) متفق عليه .

الرحمة : المسلمون رحماء فيما بينهم ، رحماء على الناس جميعاً ، لا يحملون في أنفسهم حقداً على أحد

من الخلق بسبب عقيدةٍ مخالفةٍ ، أو لغةٍ ، أو غنىً ، ويريدون الخير للبشر كلهم ، ولهذا يريدون لهم الإسلام كما أرادوا لأنفسهم بل إن رحمتهم تصل إلى الحيوانات ، وتأمرهم تعاليم دينهم بذلك يقول رسول الله ﷺ : (دخلت امرأة النار في هرّةٍ ربطتها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت) متفق عليه . ويُمنع القصاب من أن يذبح الشاة وأختها تراها ، أو ترى الشياه المذبوحة أو المسلوخة .

وهذا في السلم وفي الحرب ، مع الأصدقاء ومع الأعداء . وقد أوصى الصديق ، رضي الله عنه ، جيش أسامة بن زيد ، رضي الله عنهما ، وهو أول بعثٍ يدفعه إلى الجهاد ، بعد انتقال رسول الله ﷺ ، وكان الرسول عليه السلام هو الذي جهزه ، فقال الصديق ، رضي الله عنه للناس : قفوا أوصيكم بعشرٍ فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تُغلّوا ، ولا تغدروا ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا

امرأةً ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرةً ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرّون بأقوامٍ فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قومٍ يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيءٍ فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله ، ... .

القطاف : آمن المسلمون بما أُنزل على رسول الله من ربه ، وطبّقوا ما آمنوا به فعاشوا حياةً ملؤها السعادة النفسية والراحة القلبية ، وأحسّوا بمعنى الإنسانية ، والأخوة الحقيقية ، وشعروا بأنهم يعيشون بين بشرٍ أمثالهم ، وانصرف كل منهم يُؤدّي دوره في الحياة ، ويُتقنه إيماناً بالواجب الملقى على عاتقه ، وخوفاً من الحساب والمسؤولية يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ ، فهذا في بستانه ،

وذاك في متجره ، وهناك من يُعلّم أمور الدين ... ويشعر الجميع أنهم أسرة واحدة لا بل أكثر من ذلك لأن الأسرة إن كان بين أفرادها اختلاف في الأفكار كان التفكك وكان التباين .

وإذا دعا داعي الجهاد ، وهبّ القادرون يُلبّون الدعوة لم يُفكّر أحد في أهله أو في بيته لأنهم جميعاً في أمن الخلافة كما أنهم في رعاية بعضهم بعضاً . هذه السعادة وهذا الشعور هو الحضارة التي تُزهر وتُثمر ، ويكون من ثمارها العلم ، والتطوّر ، والتقدّم في مختلف مجالات الحياة .

ولما توقّف الجهاد ، واستقرت الأوضاع بل وفي أثناء الجهاد أخذ بعض المسلمين يُفكّرون في الوصول إلى المعادن الثمينة وإنتاجها من المعادن الثانية ، وبدؤوا يُفكّرون بما كتبه غيرهم من الأمم الثانية ، فنُقلت إليهم الكتب ، وتُرجمت ، فقام المسلمون بإجراء تجارب على الكتابات ليعرفوا إن كانت صحيحةً بالتجربة أم مجرد نظرياتٍ ، وأثناء

التجارب أبدوا ملاحظات ، وتوصّلوا إلى أشياء جديدةٍ ، فأضافوا ما وصلوا إليه ، وتوسعت آفاقهم العلمية ، وبدؤوا بالبحث والتجربة فكان العلم ، وكان التطوّر ، وكان التطبيق ، وكان التقدّم .

بدأت ثمار الحضارة تنتج إذ أورثت المفاهيم التي تكلمنا عنها الأمن ، والعلم ، والبناء ، والزراعة ، والصناعة ، ونقل البضائع فعمّ الخير ، وكانت هذه الثمار اليانعة ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فقد أورثَ الغنى فراغاً عند بعضهم ، منهم من أفاد من ذلك الفراغ في العلم ، ومنهم من استغلّه في الأدب والشعر ، ومنهم من لها فيه بالغزل والموسيقى والغناء و ...

وجاء الماديون وعدّوا هذه الثمار هي الحضارة على اختلاف تلك الثمار اليانعة منها والفجّة ، الحلوة منها والمرة ، الصالحة منها والفاسدة ووافقهم على ذلك أمثالهم دون رويٍ ولا تفكير ، ومن غير بحثٍ ولا تمحيص ، واعتبروا القرن الرابع الهجري هو أوج الحضارة الإسلامية ، ودوّنوا المدوّنات في ذلك

تخطيطاً من الأعداء ، وجهلاً من التابعين ، فكيف يكون المنتوج هو المنتج ؟ وكيف تكون الثمار هي الأشجار ؟ والأشجار تحتاج إلى تربةٍ صالحةٍ ، ومياهٍ عذبةٍ تُرويّها ، وجذور تمتدّ داخل التربة لترتفع سامقة ، وتزهر ثم تكون الثمار بعد أخذ أشعة الشمس ، فالتربة الصالحة هي النفوس الطيبة ، والمياه العذبة هي الحق الذي يُرويّها ، والجذور هي تلك المفاهيم تضرب في الأرض بالإيمان العميق بالعدل والمساواة ، والأمن ، والإنسانية ، والرحمة ، والأخوة ، والشمس هي الرعاية ، فإذا توفّرت التربة ، والمياه ، وامتدت الجذور ، ونمت الأشجار ، وتلقّت أشعة الشمس كانت الثمار وإذا وجدت النفوس المؤمنة ، والحق البيّن ، والمفاهيم الصادقة ، ورعاية شرع الله لها وجدت السعادة ، وعمّت الحضارة ، فكان العلم والبنيان .

فأوج السعادة الإنسانية التي وصلت إليها البشرية كان في عهد رسول الله ﷺ وخلفائه

الراشدين ، رضوان الله عليهم ، حيث عُرف الحقّ ، وساد ، وطُبّق الشرع فارتوت النفوس بماء الإيمان ، وامتلأت بالصدق ، فتغلغلت جذورها في البشرية جمعاء ، فنمت وسمقت برعاية العدل ، فأعطت ثمار العلم ، والتجربة ، والحكمة ،، وتساقطت هذه الثمار على الأمة كلها بل على الإنسانية ، كما تساقطت ثمار فاسدة قبل النضج ، وقد نخرها الدود فأضرت بالأمة جمعاء وعلى العالم . ولم يُميّز الماديون بين هذه وتلك وعدّوها كلها حضارةً ، وعدّوا زمن القطاف هو الحضارة ، والواقع أن أيام الزرع ووقت الرعاية هو الذي أعطى الثمر ، وهناك فرق بين ثمرٍ مفيدٍ حيث هو نتاج حضارة حقيقية ، وثمرٍ فاسدٍ ضار هو نتاج الجنوح ، والضلال ، والبعد عن المعرفة والعلم .

ثالثًا - مَرحَلَة الجنُوح بِالعِلْم

بعد أن عمّ الإسلام جزيرة العرب كان لا بدّ للمسلمين من أن ينطلقوا خارجها ليُؤدّوا مهمتهم في الحياة بالدعوة إلى الله ، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، وهذا واجب عليهم لأن دينهم يأمرهم بذلك فانطلقوا مجاهدين في سبيل الله ، وبدأ القتال بينهم وبين القوتين المجاورتين لهم ، دولة الفرس في الشرق والشمال الشرقي ، ودولة الروم في الشمال والشمال الغربي ، وكانت تلك القوتان أكبر قوى العالم يومذاك بل ربما لا توجد سواهما . وساعدت هاتان القوتان كل فكرةٍ أو حركةٍ كان يُؤمل منها أن تقف في وجه الإسلام ، وأمدتا كذلك حركات الارتداد التي قامت في الجزيرة بعد انتقال رسول الله ﷺ .

وشاءت إرادة الله أن يقضي المسلمون على دولة الفرس ، وأسلم معظم أبنائها . ولم يبق إلا من أبطن المجوسية ، وأظهر الإسلام ليعمل بالتهديم من الداخل حسب تصوره ـ حقداً وكفراً ـ وتراجعت دولة الروم عن بلاد الشام ، وشمالي إفريقية ، وأكثر جزر البحر المتوسط التي كانت تابعةً لها . كما دخل المسلمون بلاد الأندلس ومنها عبروا إلى بلاد الفرنجة ، كما فتحوا أكثر جزر البحر المتوسط . واستمّر الصراع بين المسلمين والنصارى الروم حتى شغل أكثر الأيام، وكانت أوقات السلم أقل من أوقات الحرب . ولكن هدف القتال مختلف بين الفريقين . فالمسلمون يُقاتلون لتحقيق مهمتهم في الحياة بإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، وإنقاذهم مما يعانون من الظلم ، والذلّ ، والتمييز ، والفوضى والمحاباة ، ورغبةً للخير ، ومحبةً للناس جميعاً ، على حين كان الروم يُقاتلون حقداً على المسلمين ، وكرهاً لهم ، ورغبةً في وأد دعوة الإسلام ، في الوقت الذي لم يكن من هدفٍ للدعوة إلى النصرانية حيث لا يؤمنون بها

حقيقةً وإن كانوا يتعصّبون لها ، ولم يجدوا فيها ما يتفق مع رغباتهم وتطلعاتهم الإنسانية فقد سبق أن ذكرنا أن النصرانية قد نشأت في ظلّ الوثنية ، وأخذت الكثير من طقوس الوثنية الرومانية ، هذا مع ادعاء أتباعها بإيمانهم بها ، وصدق انتمائهم إليها .

وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون يفتحون ديارهم أمام التجار الروم ، ومن يريد التنقل فيها (السياحة) في سبيل التعرّف عن قرب وبالاحتكاك والمعايشة على مبادىء الإسلام ، وحياة المجتمع المسلم ، وأهمية تطبيق الشريعة في نشر العدل ، وسيادة النظام ، وتحقيق المساواة ، وصدق الأخوة ، في هذا الوقت كانت الكنيسة تشحن نفوس أتباعها بالحقد على الإسلام وأبنائه ، وتعدّهم من الرجس ، وتحرّم دخول المسلمين إلى بلاد النصرانية .

ونتيجة إثارة الأحقاد من قبل الكنيسة ، وعدّ أي انتصار إسلامي خطراً على النصرانية عامةً وعلى الحكومات النصرانية ، والأمراء ، والأنظمة القائمة ،

وهذا ما أخاف أصحاب السلطان على مكانتهم وسلطانهم ، فزاد حقدهم ، وجمعوا قواتهم ، وجرت الحروب الصليبية بتحريض من الكنيسة خوفاً من ضياع نفوذ رجال الدين ، وبتشجيع من أصحاب السلطان خوفاً من ضياع سلطانهم ، ورغبةً من الشعوب تبعيةً لقادتهم وكنيستهم ، وجهلاً وعصبيةً .

وبقيت الحروب الصليبية ما يقرب من مائتين وعشرين سنة (٤٨٩ – ٧٠٩) عاشت خلالها أجيال من الصليبيين في ديار الإسلام ، أخذوا الكثير من علوم المسلمين ، وزراعتهم ، وصناعتهم ، ونقلوها إلى بلدانهم ، وادعوا عندما تغلّبوا على المسلمين أنها من نتاجهم ، توصلوا إليها من تجاربهم وإشغال عقولهم ، ودوّنوا ذلك في كتبهم وصدّق ذلك فيما بعد المغفّلون ، ولعلّ صناعة الورق تكفي دلالةً على ذلك إذ نقلها إلى أوربا أسيران صليبيان كانا يعملان في معمل لصناعة الورق في دمشق ، ثم فرا إلى أوربا ، ونقلا معهما تلك الصناعة ـ لم يكن السجين أو الأسير يُترك في معتقله يطارد الذباب ، حتى إذا خرج كان قد

اعتاد البطالة ، فيعيش عالةً على الأمة ، وتفقد البلاد ثروة عمله وعقله - وشاعت أسطورة الطباعة في ألمانيا . كما نهب الصليبيون الكثير من الكتب والمخطوطات ، وترجموا فيما بعد ما ترجموه ، ونقلوا ما نقلوه وادعوا أنها من نتاج فكرهم وعمل عقلهم ، بل سرقوا الأموال والآثار والتحف وكل ما طالته أيديهم .

وكذا أخذ الصليبيون العلوم من المسلمين في الأندلس ، وصقلية ، وجنوبي فرنسا ، وجنوبي إيطاليا ومن زيارة بلاد المسلمين والاحتكاك معهم في التجارة ، وقد سبق أن ذكرنا أن المسلمين قد فتحوا ديارهم أمام الروم وغيرهم للتجارة والزيارة أثناء السلم أملاً بهدايتهم . وربما يرد هنا تساؤل كيف لم يتأثر هؤلاء النصارى بالإسلام رغم هذه الصلات كلها ، والجواب على ذلك ، أنهم جاءوا ورأوا ، ولمسوا الحضارة ، ووجدوا الفارق الكبير بينهم وبين المسلمين في العلم ، وأسلوب التفكير ، والتنظيم ،

والنظام ، والتجربة ، وطريقة الحياة ، والتفتح غير أنهم جاءوا وقلوبهم مليئة حقداً ، ومشحونة عصبيةً ، جاءوا بهدفٍ معينٍ مرسومٍ لهم يسعون إليه ، وضمن مخططٍ يعملون له ، وسيُسألون من الكنيسة ورؤسائهم عما قاموا به ، وإلى ما توصّلوا إليه ، إذن جاءوا وقلوبهم مغلفة بعدة أغلفةٍ صماء سميكةٍ كي لا يتسرّب إليها شعاع ، جاءوا ونفوسهم رافضة مسبقاً كل ما تراه بل كارهة له وحاقدة عليه فكيف يصل إليها النور !!! اللهم إلا من أراد الله لها الهداية ، حيث طرحت هذه ما جاءت إليه ، وأخذت ما رأته حقاً ، وبقيت في الأرض التي ارتبطت مع أهلها ، وأقامت فيها ، وربطت مصيرها بمصير أبنائها ، وأعلنت إسلامها ، وطرحت من نفسها أوامر الكنيسة وسدنتها وتعاليم الذين ترتبط مصالحهم مع الكنيسة .

<u>الجنوح</u> : حصل الفرنجة على علوم المسلمين وأخذوا يستفيدون منها ويتقوون ، وكان المسلمون في ذلك الوقت يشغلهم اللهو بالمال ، والعلم ، والفراغ ،

ويلهيهمْ الاختلاف والصراع فيما بينهم فيضعف أمرهم ويتراجعون .

رأى الفرنجة أن يجنحوا بالعلم عن مهمته الأساسية فيتخذونه وسيلةً لضرب المسلمين ، وأسلوباً للكذب والافتراء بتغيير الحقائق ، وتدوينها و تسجيل التاريخ بما يتفق والمخطط الذي وضعوه في تدمير الإسلام والكذب .

مكّنت قوة أوربا النصرانية وأعدادها ، واختلاف المسلمين في الأندلس وتفرقهم ، من دعم نصارى الإسبان والبرتغال بأعدادٍ كبيرةٍ وانتزاع النصر على المسلمين في الأندلس ، وطردهم منها ، ووضع مخططٍ لملاحقة المسلمين ، ومحاولة تطويقهم ، واستطاعوا من الوصول إلى جنوبي بلاد المسلمين وشرقيها بعد معرفتهم أمريكا والانطلاق منها نحو الشرق ، وبعد الالتفاف حول إفريقية والتوسّع على سواحل جنوبي بلاد المسلمين في المحيط الهندي .

أطلقوا على هذه الملاحقة اسم « الكشوف

الجغرافية » لأنهم عرفوا أرضاً عن طريق المصادفة لم يكونوا يعرفونها ، ولم يكونوا قد بلغوها في حين كان المسلمون قد وصلوا إلى أمريكا ، وإن كانوا بأعدادٍ قليلة ، واستقروا فيها ، وأقاموا فيها مساجد لهم ، غير أن النصارى الأوربيين عندما أخذوا يرتحلون إلى هناك انقضوا على المسلمين كالذئاب الكاسرة وأبادوهم حقداً وتشفّياً ، وأزالوا كل معالم حياتهم هناك ، وطمسوا آثارهم ، ثم ادعوا أنهم لم يفعلوا شيئاً إذ لم يذكروا شيئاً ، ولكن دوّنوا أنهم وصلوا إلى أرضٍ جديدةٍ ، وأنهم حقّقوا كشوفاً ، وجاء من بعدهم ، وصدّق ذلك ، حتى صدّق المسلمون ، وأصبحت عند الناس حقيقةً ، وإن كانت في الواقع خيالاً .

كما أن المسلمين كانوا قد وصلوا إلى جنوبي إفريقية ، وإن لم يقيموا هناك ، إذ اقتصرت رحلاتهم إلى مدينة سفالة في جنوبي شرقي إفريقية على ساحل المحيط الهندي جنوب خط العرض ٢٠ جنوباً ، ولم يكرر المسلمون الرحلات إلى جهات رأس الرجاء

الصالح لأنه لم يكن هناك سكان يدعونهم أو يتاجرون معهم ، وكان النصارى الأوربيون إن وصلوا إلى جهةٍ أعلنوا الدعة والمسكنة فإن وجدوا أنفسهم أقوى من السكان ويمكن أن يكونوا فوقهم قاهرين انطلقوا كالذئاب الكاسرة فدمّروا ، وأحرقوا ، وسلبوا ، ونهبوا ، وقتلوا من السكان ما استطاعوا قتله ، ومثّلوا بالجثث ، وفعلوا أبشع الأفعال ، وقاموا بأنكر الأعمال . ولعل أوضح صورة على ذلك ما فعله فاسكودي غاما الصليبي البرتغالي عندما استولى على سفينةٍ تحمل مائة من الحجاج الرجال والنساء في خليج عُمان في طريقها من الهند إلى الأماكن المقدسة إذ قتلوا بعض الرجال الذين تبدو عليهم القوة ، ثم مثّلوا بالباقين حيث جدعوا أنوفهم وقطعوا أعضاءهم التناسلية ، ووضعوها في أفواههم ، وزنا رجاله بالنساء ، ثم مزّقوا أرحامهن بالسكاكين ، وبقروا بطونهن ، وعلقوهن من أثدائهن بالكلاليب على ظهر السفينة ، والبرتغاليون يضحكون ، ويقومون بأفعالهم المنكرة مع أصوات العويل

والصياح ، وانصباب الدماء ، وكأن هذا كان كالموسيقى لهم .

غير أن كبير النصارى الإسبان قد أخطأ التقدير حيث حسب نفسه الأقوى ، وأن ما يملكه من سلاح كافٍ لتدمير سلطنة راجا سليمان كلها (الفليبين) ، وخاصةً أن حكام بعض الجزر قد خضعوا له وأظهروا الخنوع ، فجمع الناس ليُبيد من يرفض النصرانية الكاثوليكية ، لكن (لابولابو) قد استعلى بإيمانه ، وطعن ماجلان فقتله فانسحب النصارى الإسبان يجرّون وراءهم الخزي والعار . ولم يقدم المسلمون على قتل أتباع ماجلان ، إذ عدّوا تصرف ماجلان شخصياً ، ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ . ودوّن النصارى الأوربيون أن المكتشفين الإسبان قد وصلوا إلى جنوبي أمريكا ثم انتقلوا بإمرة ماجلان إلى شرقي آسيا ليحملوا إلى أهلها المدنية والحضارة الأوربية وتابعهم ـ مع الأسف ـ في ذلك أكثر المسلمين دون علمٍ ، وجهلاً بالأهداف الأوربية .

وأثرت أوربا بما نهبت ، وغنيت بما سلبت ، وقويت بما نقلت ، وارتفعت معنويات أبنائها . بما حصلوا عليه ، وبما نالوه من مركز إذ غدت دولهم صاحبة المكانة ، وأصبحوا على استعدادٍ للتضحية في سبيل بقاء ما حصلوا عليه لهم ، وفي الوقت نفسه ضعف المسلمون بما خسروه ، وانهارت معنوياتهم بسبب هزيمتهم ، وازدادت كلمتهم فرقةً لتقسيم بلادهم بين دولٍ مختلفة اللغات متباينة التصرّفات ، وضعف أمرهم لتجزئة قوتهم ، وانصراف بعضهم إلى اللهو والمتعة والنساء تحت تأثير نصارى أوربا .

واستمرّ خط نصارى أوربا بالارتفاع ، وخط المسلمين بالنزول عدة قرونٍ ، وكلما صحا بعض المسلمين وعملوا على النهوض والارتقاء ، ودعوا إخوانهم للصحوة ، أو فكروا بالمقاومة انطلق الأوربيون كالذئاب الكاسرة يبطشون ، ويبيدون ، لا يكبح جماحهم كابحٍ حتى يخضع الناس ، ويخنع النشيط . وسيطرت أوربا النصرانية على أكثر بلاد

المسلمين ، وأصبح لها الكبرياء في الأرض .

الحرب العالمية الأولى : اندلعت الحرب العالمية الأولى بين دول أوربا بعضها مع بعض ، بين الدول الاستعمارية التي كان لها نفوذ واسع (بريطانيا - فرنسا - روسيا - إيطاليا - هولندا - بلجيكا) وبين الدول التي كانت تريد أن تتوسّع ولكن لا تجد لها مكاناً تتوسّع فيه إذ سبقها على المناطق جيرانها ، وتريد أن تمدّ نفوذها غير أنها لا تجد لها مجالاً حيث شغل الأمكنة الدول الأوربية الأخرى ، وأخذت هذه الدول (ألمانيا - النمسا) تسعى ، وتُطالب بالمكان اللائق بها تحت الشمس . وجرّت الدولة العثمانية - مع الأسف - إلى هذه الحرب ، بجانب الدول الأقل قوة ، جرّها إلى ذلك اليهود الذين اخترقوا صفوف المسلمين بإظهار الإسلام ، والعمل على التهديم من الداخل ، ذلكم هم يهود الدونمة .

وهُزمت ألمانيا والنمسا وحليفتهما الدولة العثمانية ، فتجزأ ما بقي من أصول الدولة الإسلامية

ثم أُلغيت الخلافة ، وتقطّعت أوصال المسلمين ، وأصبح نصارى أوربا فوق المسلمين قاهرين ، إذ استولوا على بلادهم ، واستبدّوا بشعوبهم ، واستعبدوا أكثر أبنائهم ، وتحكّموا في ثرواتهم .

الافتراءات : دوّنت أوربا ومن شايعها هذه المرحلة بالصورة التي تُمجّد أبناءها ، وحيوية سكانها ، وربما تقنع فيها الآخرين ، وتُسكت أصحاب غير العلاقة ، فادعت أن أوربا قد أثرت نتيجة الكشوف الجغرافية ، وتجارة التوابل . والواقع أن ما أفادت منه أوربا من التجارة لا يعادل واحداً من مائة مما حصلت عليه من السلب والنهب ، ومصادرة الأملاك ، ونقل الكتب والعلوم ، والسيطرة على الثروات ، وتسخير الشعوب لخدمتها ، واسترقاق العباد .

وسجّلت أنها نقلت العلم والمدنية إلى الأمم والشعوب المتخلّفة والواقع أنها كانت هي سبب التخلّف الأساسي ، بما استرقت ، وما أذلّت ، وما أفقرت ، وبما تغطرست وتجبرت ، وما استعبدت

وكانت سبب انتشار الجهل ، والمرض ، ووقوع الاختلافات ، وسبب المصائب .

ولاية النصارى لليهود : كان اليهود منذ عهد صدر الإسلام قد أهمّهم نجاح الإسلام ، وأغمّهم انتصاره ، فعملوا على حياكة المؤمرات ضدّه وضد أتباعه ، وتفتّق ذهن أحبارهم عن مكرٍ خبيثٍ هو الدخول بالإسلام ظاهراً ، والعمل على التهديم من الداخل . وكانت فتنة عبد الله بن سبأ «ابن السوداء» في بداية الأمر ، ثم كانت الفرق الباطنية كالإسماعلية ، والنصيرية ، والدروز ، وإن شاركهم المجوس في موضوع الدروز ، كما ساهم المجوس في موضوع القرامطة ، وفرق التصوف .

استطاع اليهود تحت مظلة الإسماعيلية أن يقيموا الدولة العبيدية (الفاطمية) ، وما تفرّع عنها من حشاشين وصليحيين و ... وإن انتهت كلها في آخر الأمر إلا أن الفرق الباطنية قد بقيت قائمة وإن كانت منعزلةً على نفسها ، متقوقعة في مناطق محدّدةٍ حتى الآن .

وعمل اليهود مرة أخرى في تشكيل فئات في قلب الدولة العثمانية ، ذلكم يهود الدونمة الذين أظهروا الإسلام ، وعملوا على الانضمام في التنظيمات التي كانت من ورائها بعض الدول الأوربية ، وكانت على أيديهم نهاية الخليفة عبد الحميد الثاني ، بعد أن أشاعوا حوله الشائعات الغريبة التي لايزال بعضها يُردّد بل ويُدرّس حتى الآن ، وأخيراً كانت على أيديهم إلغاء الخلافة الإسلامية ، وتغيير الحرف الذي تكتب به اللغة التركية ، وهو الحرف العربي ، إلى اللاتيني ، وكذلك استبدال اللغة العربية في الأذان ، وبعض العبادات إلى اللاتينية ، وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد عوضاً عن يوم الجمعة ، وتعظيم ذاك الرجل الذي قام بهذه الأعمال ، وهو مصطفى كمال ، وجعله المثل الأعلى لهم .

وكان النصارى قبل هذا يعملون على محاربة الإسلام ، وضربه صراحةً ، والوقوف في وجهه بعناد ،

وتمّ لهم إحراز النصر بعد عدة قرون ، وسيطروا على بلاد المسلمين ، ورغم المخططات التي وضعوها للتأثير على عقيدة المسلمين ، والعمل على جرف بعضهم إلى طريق الغواية والفجور في سبيل إبعادهم عن الإيمان ، ورغم حصولهم على بعض النجاح إلا أن هذا النجاح كان محدوداً جداً .

كانت بريطانيا كبرى دول أوربا النصرانية التي تُعادي المسلمين ، ورأت أن تتولّى اليهود وتستفيد من إمكاناتهم المادية ومخططاتهم الماكرة فمدت القنوات بينها وبينهم ، وبدأت الاتصالات بين الطرفين ، وقدّموا لها الدعم أثناء الحرب العالمية الأولى ، فوعدتهم بالتمكين لهم في فلسطين ، وبعد انتهاء الحرب وفت لهم بما وعدت إذ سلّمتهم أكثر بلاد المسلمين حساسيةً ، فأصبحت بأيديهم القدس وأجزاء من جنوبي الشام ، ومركز الخلافة الإسلامية التي أُلغيت ، كما تسلّم بعض الذين يتظاهرون بالانتماء للإسلام مناطق ثانية أخطر من المناطق الأولى ،

وتولت بريطانيا اليهود .

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ المائدة : ٥١ .

الحرب العالمية الثانية : بقيت بريطانيا إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية سيدة الموقف ، تتولّى اليهود ، وتتبنّى أمورهم كلها وتقدم لهم المساعدات . ولكن بعد الحرب برزت الولايات المتحدة كأكبر قوةٍ في العالم بل أخذ نفوذها يحلّ محل نفوذ حلفائها كبريطانيا ، وفرنسا بناءً على السياسة التي اتبعتها ، وفي الوقت نفسه اتجه اليهود نحوها كقوةٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ أكبر ، وكدولةٍ ذات نفوذٍ أكبر ، كما أنها اتجهت نحو اليهود تأكيداً لموالاة النصارى لليهود ، واتباعاً للسياسة البريطانية التي نجحت في هذا الاتجاه ، وإفادةً من النفوذ المالي اليهودي الذي لا يُنكر دوره في الانتخابات النيابية

الأمـريكيـــة ، والوصول إلى حكم الولايات المتـحدة لذا أخذ الحـزبان الرئـيسيـان يتـسابقان وخاصـةً أثناء الانتخابات لاستجداء تأييد اليهود ، والتأكيد على مـوالاتهم ، ودعم مـؤسسـاتهم وأفـرادهم المندسّين في الشعوب والدول بأسماء وعقائد تتفق وعقائد تلك الشعوب والدول .

مَسَــارالجُـنُوح

مع الأحقاد الشديدة ضدّ الإسلام ، ومع الصراع الدائر مع المسلمين للتسلّط عليهم والسيطرة على بلادهم ، ومع المسيرة الاستعمارية الطويلة نشأت لدى النصارى ثوابت معينة يتحركون ضمنها ، وأطر ثابتة يبنون عليها ، ومفاهيم خاصة ينطلقون حسبها ، وفي كل منها هدف ثابت لا يزيغون عنه هو العمل على حرب الإسلام حتى غدا أساس سياستهم بل هدف من أهداف حياتهم ووجودهم ، سواء انتبه إليه باقي سكان المعمورة أم لم ينتبهوا ، وربما أصبحوا لا يحسّون بذلك لممارستهم الدائمة له ، ولعادتهم على سلوكه لذا ليس غريباً إن أنكر العامة ذلك ، واستبعده الناس ، ومن هذه الثوابت .

أولاً ـ الحق للقوة

قلنا إن النصرانية نمت وانتشرت في أحضان الوثنية الرومانية لذا أخذت تبتعد عن الحق حتى زال عنها ، وتملّصت منه ، ولم تُبد الكنيسة أي حركةٍ مقابل ذلك بل سكتت عن ذلك وقبلت ببقاء تبعية الدول والإمارات لها اسمياً ، وكذلك فإن الحكومات قد رضيت بانتمائها للكنيسة ورفع شعار ذلك دون مطالبتها بتأدية أي شعيرةٍ أو انتهاج أي سلوكٍ ، أو تطبيق أي شرعٍ أو نظامٍ ، وفي الوقت نفسه قبلت دفع مبلغ من المال للكنيسة مقابل الاعتراف بها وبشرعيتها ونصرانيتها ومع هذا الانفصام ، ورغم هذا التباين فقد زاد الانفصال عندما رفض رجال الكنيسة الأفكار العلمية ، ورفضوا الاعتراف بصحتها بل أعلنوا كفر من قال بها وكل من قبلها .

سارت الكنيسة في خط مع الاعتراف بأن الحكومات الأوربية نصرانية ، وسارت الحكومات في خط مع الاعتراف بأن الكنيسة رمز لها ، ومع دفع

مبالغ من المال لها . وتعصّب الطرفان للنصرانية من غير مضمون لها ، وشحنت الكنيسة أتباعها جميعاً ضد أعدائها المسلمين ـ الكفرة حسب اصطلاحها ـ وقبل الأتباع هذا الشحن إلى آخر حدٍّ ممكن حتى امتلأت نفوسهم ، وعملوا على تفريغ شحنات منه بقتل المسلمين والعمل على إبادتهم ، والوصول إلى القوة لإمكانية تفريغ ما شُحنت به نفوسهم حتى أصبحت القوة هي الحق ، فالحق هو ما تُمليه القوة .

وأصبحت فلسفة أوربا «الحق للقوة» القوة التي تمكّنها من إخضاع الآخرين لها واعترافهم بحق هذا الإخضاع ، القوة التي تستطيع بها من الاستيلاء على بلاد الآخرين وإجبارهم على الاعتراف بحقها في هذا الاستيلاء .

زار أحد كبار قادة دولةٍ أوربيةٍ نصرانيةٍ دولةً ينتمي سكانها إلى الإسلام ، وتستورد الأسلحة من دولته ، والتقى بكبار الضباط ، وأظهر رغبته في معرفة أولئك الضباط بالاستفادة من الأسلحة التي

يستوردونها ، والتقوا في ساحة المدفعية ، فسألهم عن الميزات التعبوية للمدفع الموجود في المربض أمامهم ، فأجاب أحدهم ، فلم يقبل الزائر الإجابة ، وتكلم الثاني فلم يرق كلامه للزائر ، وتكررت الإجابات ولم يوافق الضيف على واحدةٍ منها ، على الرغم من أنها جميعها متشابهة وحسبما هو مدّون في النشرات المرسلة مع المدافع ، وعندها تكلم الضيف قائلاً : هذا المدفع هو الذي يجعل الحق بجانبك ، وهو الذي يُدوّن التاريخ بالشكل الذي تريده لنفسك .

هذه هي فلسفة أوربا النصرانية وامتدادها في أمريكا وغيرها ، وهذا هو منطقها ، وهذا هو منطلقها . ولكن لا بد من أن تجد تغطيةً لهذا المنطلق ولو بنوعٍ من الغطاء الشفاف كصورةٍ من الحياء البارد .

أ ـ <u>التغطية</u> : بعد أن شعرت أوربا النصرانية بالسيطرة والتمكّن بعد الحرب العالمية الأولى

والسيطرة على معظم بلاد المسلمين ، وإلغاء الخلافة ، وبقاء المسلمين أشتاتاً ، عملت بعدها على المحافظة على هذا الوضع لتبقى لها الكبرياء في الأرض ، ولتتحكم كيف تشاء بالشعوب والأمم .

أوجدت هيئةً أطلقت عليها عصبة الأمم ادعت وأعلنت أنها تُمثّل دول العالم ، وأخذت النصرانية تفرض هيمنتها على الأرض من خلال تلك الهيئة ، وتُنفذ مخططاتها من ورائها ، ومن يخالف ذلك من الهيئات أو الشعوب أو الأمم يُحارب باسم عصبة الأمم حتى يخضع لما تراه ، وربما تزول دولة ، ويختفي إقليم من جهةٍ ويلتحق بجهةٍ ثانية إذا كانت النصرانية ترى ذلك .

لقد فرضت النصرانية باسم عصبة الأمم الانتداب على مناطق ادعت أنها ليست مؤهلةً بعد لتحكم نفسها بنفسها ، لذا انتدبت عليها دولة نصرانية من الدول التي أوجدت عصبة الأمم ، وتتحكّم فيها ، وتسيّرها حسب هواها . وأعطت

مناطق أخرى لدولٍ ثانيةٍ تحكمها ، كما أعطت جزءاً من الشام (فلسطين) لليهود . وقسّمت أقاليم حسب هواها ، إذ قسمت الشام إلى أربعة أقاليم ، وهي إقليم واحد و ... والملاحظ أن المناطق التي لحقها الهوان من تقسيم ، وانتداب ، وتسلّط كلها أمصار إسلامية فالسياسة الدولية (النصرانية) متجهة كلها ضدّ الإسلام والمسلمين .

ولما كانت الدول النصرانية هي التي لها الهيمنة على البلدان الأخرى التي غدت ضعيفةً لتقسيمها أو لسلب خيراتها ، أو للسيطرة عليها ، أو للذلّ الذي أصابها لذا فقد اختارت الدول ذات الهيمنة للدول الضعيفة حكاماً ضعافاً يمكن التأثير عليهم ، واللعب من ورائهم ، وتنفيذ المخططات من خلفهم ، أو حكاماً يسيرون حسب الهوى الأوربي حسب اتفاق مسبق ، وذلك مقابل مساعدةٍ أو دعمٍ وحمايةٍ لقاء تحقيق ما يريده الأوربيون ، أو ألقت قياد الأمة إلى أناسٍ يظهرون الإسلام ، وهم ليسوا من أهله ، وإنما

من اليهود الذين يريدون تهديم الإسلام من الداخل ، وذلك بعد أن تمّ لقاء وتعاون المخططين اليهودي والصليبي .

وبعد الحرب العالمية الثانية برزت الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر قوةٍ سياسيةٍ وعسكريةٍ واقتصاديةٍ في العالم ، وحلّت محلّ حلفائها السابقين بريطانيا وفرنسا في مناطق النفوذ ، وغدوا ثلاثتهم مع روسيا يُسيّرون دفّة العالم ، ولما كانت عصبة الأمم قد ظهرت عيوبها ، وانطلقت رائحة نتنها ، لذا فقد استبدلت بهيئةٍ جديدةٍ عرفت باسم «هيئة الأمم» ولم تختلف عن سابقتها إلا بالاسم ، كما لم تختلف السياسة الدولية إلا بهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية بدلاً من هيمنة بريطانيا في السابق . وانتقلت بذلك كفالة اليهود وحمايتهم من بريطانيا إلى الولايات المتحدة التي أصبح عليها عبء تنفيذ الخطة والسياسة النصرانية ، وإن بقي للدول الأوربية النصرانية الأخرى مسؤولية وهي : روسيا ،

وبريطانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا ... ويتناسب دور كل دولة مع مكانتها الدولية مع العلم أن هذه المسؤولية أدبية لاعترافها الاسمي بالتبعية للكنيسة ، ونتيجة الأحقاد التي تحملها على الإسلام والمسلمين ، كما أنها مسؤولية ذات صبغةٍ عصبيةٍ للنصرانية حيث عرفنا أن هذه الدول لا تحمل أي مضمون للعقيدة النصرانية ولكن تتعصّب لها .

وكانت الشيوعية والرأسمالية في صراعٍ على مناطق النفوذ والمزاودة أمام الشعوب والأمم من أجل مدّ ذلك النفوذ ، مع اتفاقٍ تامٍ بالوقوف في وجه الإسلام ومحاربة منهجه ، ومبادئه ، ومفاهيمه فلما زالت الشيوعية وانتهى دورها بقيت الولايات المتحدة الأمريكية تحمل هذا العبء مع بعض حلفائها بل زال الصراع على النفوذ ، وزالت المزاودة ، ولم تعد تخشى الوقوف من أحدٍ في وجه أطماعها ، فتفرّدت بالأمر ، وقادت هيئة الأمم المتحدة وحدها ، وغدت تُطبّق ما تريد باسم الأمم المتحدة أو باسم ما

أطلقت عليه النظام الدولي ، فتحارب من تريد ، وتوزع صفات التطرّف والتقدمية والرجعية على من تريد ، وتنصاع دول العالم لها طوعاً أو كرهاً .

٢ـ الكبرياء : وليس هناك من مانعٍ لدى الدول الأوربية النصرانية وامتداداتها في أمريكا من استعمال القوة ولو أدّى الأمر إلى تدمير العالم كله فيما إذا كان خارج نطاق العالم النصراني ، وإلقاء نظرة فاحصة على الحرب العالمية الثانية يعطينا الدليل . فإن دول المحور قد هُزمت ، واستسلمت إيطاليا وألمانيا ولم يبق سوى اليابان ، ولا تستطيع متابعة الحرب وحدها ، وربما كان بالإمكان عرض الصلح عليها ، وتقبل فوراً ، وسترضخ للأمر الواقع مباشرةً غير أن دول الحلفاء لا تريد ذلك ، كما لا تريد من اليابان الاستسلام ووقف الحرب ، وإنما تريد إذلالها ، وإخضاعها ، وإجبارها على الخنوع لذا ألقت عليها القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما فاستسلمت اليابان مباشرةً ، وطلبت وقف القتال ،

ومع موافقة دول الحلفاء وإعلان انتهاء الحرب ، لكن لم تقنع نفوسها بما تمّ ، ولم تكتف بما حدث فألقت قنبلةً ثانيةً على مدينة ناغازاكي ، وسُرّت بالذي كان من إبادةٍ ، وتدميرٍ ، وتجربةٍ للسلاح الجديد . ولو كان هذا الأمر مع دولةٍ نصرانيةٍ كألمانيا وإيطاليا وغيرهما لاكتفى الحلفاء بإعلان الاستسلام ، أو طلب الصلح ، أو وقف الحرب بل ربما إعطاء هدنةٍ ، غير أن الوضع مع دولةٍ غير نصرانيةٍ أمر آخر .

هذا مع دولةٍ كاليابان ليست بينها وبين النصرانية أحقاد ، وليست هناك من صراعاتٍ سابقةٍ فكيف لو كان الأمر مع دولةٍ إسلاميةٍ ، لا شك أن سكانها كانوا قد أبيدوا جميعاً .

وتحرص هذه الدول ألا تسير دولة أخرى في دروب القوة وخاصةً إذا كانت دولةً إسلاميةً بل يكفي أن ينتمي سكانها للإسلام انتماءً دون التزام خوفاً من أن تُنافسها أو تجمع إليها الدول الإسلامية وتُنازل الأمم النصرانية .

فإذا ما سارت دولة غير نصرانية في طريق القوة هبّت الدول التي لها هيمنة على العالم الآن ، وأوجدت حجةً لها ، ونبشت حيلةً ، أو أوقعت بينها وبين الجوار ، ثم انطلقت كالذئاب الكاسرة تُحاربها ، وتعاديها ، وتستعدي عليها بقية الأمم والشعوب ، وتقودهم لحرب تلك الدولة الناشئة حتى تُجبرها على الخنوع ، وتخضعها ، وتسحب منها قوتها ؛ بتدمير ما يمكن تدميره ، وتحطيم ما يمكن تحطيمه ، وأخذ عناصر القوة حتى تبقى للدول النصرانية الكبرياء في الأرض .

وقد آن لنا أن ندرك ما يجري على الساحة الدولية ، ما يُخطّط لنا ، وما يُحاك ضدنا .

٣ ـ التمييز : إذا أُصيب نصراني في إحدى المجاهل أو في مفازة من مفازات الصحارى هبّ العالم ، وهبّ مجلس الأمن ، وزمجرت هيئة الأمم ، وقامت بعثات البحث والتفتيش ، وانطلقت الطائرات المروحية تحلّق فوق المنطقة ، ووُجهت التهم ، وقرر مجلس

الأمن إرسال فرق لتقصّي الحقائق ، وأخذت توقّعات وسائل الإعلام التي لا تنفك تثير المشكلة .

أما إذا أصيب آلاف من غير النصارى أو اليهود اكتفت وسائل الإعلام بذكر الخبر ، وبالأسلوب الذي تريده هيئة الأمم (الدول المحركة لها) .

وإذا جرى العمل لإبادة شعبٍ مسلمٍ كامل ، فإن مجلس الأمن يدعى للانعقاد بعد مدة ، ثم تُؤجّل الجلسات إلى أن تُستكمل المعلومات ، ثم ترسل هيئة الأمم لجاناً للتحقيق ، ويكون الذبح جارياً والإبادة قائمة ويبقى التأجيل ، ويستمر التسويف حتى ينتهي الشعب المسلم ، أو يُحقق الخصوم طلباتهم منه فمشكلة فلسطين الشام لا تزال قائمة منذ سبع وأربعين سنةً ، ومثلها قضية كشمير ، وقس على مثلها بقية قضايا المسلمين . فاليهود أنهوا موضوع فلسطين ، وجيرانهم يتوسّلون إليهم رضاهم ، والهندوس قضوا على مشكلة كشمير وأجبروا سكانها على الخنوع .

وموضوع البوسنة ليس ببعيد حيث وقفت هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن موقف المنحاز صراحةً ، والموقف الصليبي وقاحةً حيث حُظر السلاح عن البوسنة على حين كان يتدفّق على الصرب باستمرار من جمهورية الصرب ، ومن روسيا ، ويتدفّق على الكروات والصرب من دول أوربا النصرانية . ولا يلتزم الصرب بأي قرارٍ من قرارت الأمم المتحدة ، وتُطالب البوسنة بذلك . وتمنع كرواتيا وصول الإمدادات إلى المسلمين المحاصرين والمهددين بالموت ، وإذا أُلقيت عن طريق الجوكانت من نصيب الصرب . والمدفعية والمدرعات تعمل حصداً بالمسلمين الذين استبسلوا بالقتال ودافعوا عن حماهم بضراوة ومجلس الأمن وهيئة الأمم يقرران أنهما سيعملان في المستقبل ، وسيدرسان الموضوع بعد شهرٍ ، وسيقومان بإرسال المبعوثين بعد فترةٍ وجيزةٍ لا تتجاوز الشهرين ، والبرد يفتك ، والجوع يقتل ، والسلاح يُبيد ، والنظام الدولي ينتظر الحل بالقضاء على المسلمين إبادةً . ومن الغريب بعض

هذه الأحداث أن بعض المسؤولين يصدّقون ادعاءات الأمم المتحدة أو مجلس الأمن أو يظهرون هذا لتنطلي التمثيلية على بعض المسلمين من المغفّلين أو المستغربين ، أو أصحاب المصالح من أعوان رؤوس الدول الأوربية .

ويمكن أن نلمس هذا في رسالة رئيس وزراء بريطانيا جون ميجور إلى وزير خارجيته دوغلاس هوغ :

نص الرسالة السرية من رئيس وزراء بريطانيا جون ميجور إلى الوزير البريطاني دوغلاس هوغ .

مكتب رئيس الوزراء ، داوننغ ستريت ١٠ ،

السيّد / دوغلاس هوغ ، مكتب الشؤون الخارجية والمملكة المتّحدة

لندن ، SW1A 2AH ٢ مايو ١٩٩٣ م

السيد / دوغلاس المحترم

أشكرك على التقرير المفصّل حول الأوضاع الماضية والحالية في جمهورية البوسنة والهرسك ، التي كانت جزءاً من دولة يوغسلافيا السابقة .

كما تعرف جيداً ، من خلال الأحاديث السابقة في "المكتب" والمناسبات الأخرى ، فإنّ حكومة جلالة الملكة لم تغيّر موقفها تجاه حل القضايا السياسية التالية :

١ ـ لا نوافق الآن ، كما أننّا لن نوافق في المستقبل ، على تزويد مسلمي البوسنة والهرسك بالسلاح أو تدريبهم على استخدامه .

٢ ـ إننا سنواصل دعمنا الحازم لإبقاء حظر بيع السلاح المفروض من قبل الأمم المتحدة على دول هذه المنطقة ، رغم معلوماتنا الموثّقة الواردة عن دعم دول اليونان وروسيا وبلغاريا للجيش الصربي وقيامها بتدريبه ، والمعلومات عن قيام ألمانيا والنمسا وسلوفينيا ـ وحتى الفاتيكان ـ بالدور المماثل لدعم كرواتيا والقوات الكرواتية في البوسنة والهرسك . ومن المهم جداً أننا نعلم يقيناً أن جميع الجهود المماثلة المبذولة من قبل الدول والمنظمات الإسلامية لدعم المسلمين قد باءت بالفشل التام .

إنّه يتعيّن علينا اتّباع هذه السياسة حتى لحظة الوصول إلى الهدف النهائيّ ، وهو تقسيم جمهورية البوسنة والهرسك ومنع قيام "الدولة الإسلامية" في أوربا ، وهو الأمر الذي لا يمكن أن نسمح به أبداً . وإنه من غير المسموح أن نرتكب مرة أخرى في البوسنة والهرسك أو في أي مكان آخر في العالم ، الخطأ الذي ارتكبناه بتسليح وتدريب المقاتلين الأفغانيين أثناء قتالهم مع الاتحاد السوفييتي ، وإلا فإن هذا الأمر قد يسبب لنا مشكلات كبيرة داخل المسلمين المهاجرين إلى دول المجموعة الأوروبية وأمريكا الشماليّة .

كما أرجو منك الاطلاع على الرسالة الواردة من الولايات الأمريكيّة المتحدة بعنوان "الانطلاقة الإيرانية نحو أوربا" بتاريخ ١ سبتمبر ١٩٩٢ م . ومن أجل هذه الأسباب تصبح المعايير المذكورة صحيحة ، لذلك ينبغي أن تهتم أجهزة الأمن الداخلي - بصفة خاصة - بالجمعيات الإسلامية الموجودة في الدول الغربيّة ، وخاصة عندنا في بريطانيا .

٣ - يجب أن نؤكد ضرورة إخفاء حقيقة التحركات السياسية الغربية ، وبأيّ ثمن عن كل الدول التي يمكن أن نسميها بالإسلامية - وبالذات عن تركيا - فيما يتعلق بهذه المنطقة إلى أن تهدأ الأمور في يوغسلافيا السابقة . ومن أجل هذا السبب نفسه يتعيّن علينا الاستمرار في الخدعة التي سميّناها بـ "خطة وانس-أوين" لإحلال السلام بهدف عرقلة كل التحركات إلى أن نقضي على دولة البوسنة والهرسك ويتم تهجير المسلمين منها إلى مختلف دول العالم .

قد يظهر لبعضهم أن هذه السياسة قاسية ، إلا أنه من واجبي أن أطالب بها كلّ العاملين في مكتب الخارجية لشؤون المجموعة الأوربية الذين لهم صلة مباشرة بصنع القرارات السياسية والعاملين في الأجهزة العسكرية ، ولكنّي متأكد أن هذه السياسة هي - في حقيقة الأمر - السياسة الوحيدة الناجحة من أجل المصلحة العليا وهي مستقبل الأمن الأوربي . وإنّه من واجبي أيضاً أن أطلعكم على أن الموقف نفسه تتخذه كل حكومات دول أوربا وأمريكا الشمالية ، لذلك لن نتدخل في هذه المنطقة لإنقاذ المسلمين أو لرفع حظر بيع السلاح

عنهم . لذا يتحتم علينا جميعاً العملُ على إقناع المسلمين المهاجرين إلى الدوّل الغربية بأننا لن نسمح لهم بمعارضة نظرتنا إلى العالم من خلال "النظام العالمي الجديد" ، وأن ما يسمى بـ "الدول الإسلامية" لم تفعل شيئاً لإيقاف إبادة المسلمين في البوسنة والهرسك ، كما أنّها لم تنفذ التزاماتها وقراراتها من اجتماع "منظمة المؤتمر الإسلامي والمهلة المحددة بيوم ١٥ يناير ١٩٩٣ م ، ولا بد من إشعارهم بأنهم عاجزون عن فعل شيء لإنقاذ المسلمين دون تحركنا نحن ، لأنّنا نتحكم في جميع حكوماتهم .

وإن كنت أدرك أنك تختلف معي ومع وزير الدفاع في بعض التفاصيل في هذه القضية ، إلا أنه من المهم أن نكون جبهة موحدّة ضد بعض أعضاء المجلس العمومي وبعض المعارضين ، وخاصة بعد الهجوم الشديد على سياستنا هذه من قبل رئيسة الوزراء السابقة .

وأنتظر منكم جميعاً الخدمة المخلصة لهذه الحكومة والاحترام لمسؤوليات هذا المكتب "

مع التحية

رئيس الوزراء /جون ميجور



THE PRIME MINISTER

10 DOWNING STREET

LONDON SW1A 2AA

2 May 1993

Douglas Hogg
Foreign &
Commonwealth
Office
London SW1A 2AH

Dear Douglas

Thank you for your indepth report on the current as well as past situation in the "Bosnia - Hercegovina" region of the former Yugoslavia.
As you are well aware from previous discussions, both within the "Cabinet" and at other times Her Majesty's Government has not changed its position on any of the following policies :

1) We do not agree now or in the future to "arm or train" the Muslims within Bosnia - Hercegovina with military hardware.
2) We will continue to help impose & enforce the U.N. embargo on weapons to this region. While we are well aware that Greece, Russia & Bulgaria are supplying arms & training to Serbia & Germany, Austria, Slovinia & even the Vatican are doing similar efforts on behalf of the Croatian & H.V.O. forces within the region, it is of paramount importance that we make sure that no such efforts are successful on behalf of the Muslims within the region from Islamic States & Groups.
To this end & until the final outcome of the situation on the ground i.e. the dismemberment of Bosnia - Hercegovina & its destruction as a possible "ISLAMIC STATE" within Europe which will not be tolerated, we will continue to follow this policy. Further, the mistake of training & arming the Afghan fighters against the forces of the former USSR & their becoming so-called "Islamic Fighters" now in other parts of the world, as in Bosnia - Hercegovina, will not be repeated with the Muslim population in Bosnia - Hercegovina. This could lead to serious problems in the future within the emigre Muslim population within the E.C., & North America. Please see attached paper from the United States entitled : "Iran's European Springboard ?" Dated September 1 1992. Within reason these criteria are becoming more & more relavent, therefore, special attention by our internal sercurity services should be placed on the Muslim Communities within the Western States, especially here in the U.K.,

3) Until the situation in the former Yugoslavia is settled we must at all costs make sure that no state that can be deemed "Muslim" is allowed any say on the West's policy actions in this area, especially that of Turkey. It is therefore, necessary to continue with the sham of the "Vance - Owen" peace talks in order to delay any such possible actions until Bosnia - Hercegovinia no longer exists as a viable state & its Muslim population is totally displaced from its land.

Whilst this may seem a hard policy I must insist with you and the policy makers within the F.C.O., & the Armed Services that this is infact "real-politic" and in the best interests of a stable Europe in the future, whose value system is and must remain based on a "Christian-Civilisation" & ethic. This view I must inform you is also felt in every other European and North American government, therefore, we will not intervene in this region to save the Muslim population or push to lift the arms embargo on them. The Muslims in the West must be made to see that they can not oppose our view of the world in the "New World Order" & that by the inaction of the "so-called" Muslim* governments of the world, in doing nothing to oppose the destruction of the Muslims of Bosnia - Hercegovina & not following through on their pledges to do something by the 15.1.93 at the OIC Conference, if the West did not rescue the Muslims, they are totally powerless to oppose us, as we control their governments.

Whilst I know you do not feel fully as I or the Minister for Defence feel on this subject, it is important that we all show a united front to those in Parliament and the country on this matter, especially after the "forceful" attack on this policy by the former Prime Minister.

I expect all those that serve this government to obey "Cabinet Responcibility !"

Yours Sincerely,

في حروب المنافسة بين الدول الاستعمارية التي كانت تقع بين دول أوربا كانوا يضعون سكان مستعمراتهم ومناطق نفوذهم في الخطوط الأولى ليكون القتل منهم ، وليُبقوا على العنصر الأوربي ، فإذا ما لحقت هزيمة بهم ادعوا أن جنود البلد ... انهزموا ، ويكون حصاد السلاح منهم ، وإذا ما أصابوا نصراً سُجّل للحكومة المنتصرة . بل كثيراً ما كانت تفجّر الألغام بجنود المستعمرات عندما لا تتوفر الحيوانات اللازمة لذلك ، كما حدث في الحرب العالمية الثانية في شمالي إفريقية ، إذ فُجرّت حقول الألغام بجنود الفرقة الهندية .

وهذا ينطبق على الحروب كافة التي وقعت ، وكانت إحدى الدول الأوربية طرفاً فيها منذ أن أخذت أوربا تنهض ـ حسب اصطلاحها ـ والواقع منذ أن أخذت بالسيطرة والتوسّع وفرض النفوذ على غيرها من البلدان الثانية .

وعلى الرغم من هذا البعد عن طريق الحق ،

والتعالي بالباطل ، والتمييز بين الناس فإن الأوربيين النصارى وامتداداتهم في أمريكا يدعون أنهم قادة العالم ، وأنهم في قمة الحضارة ، ولكن هذا ظنّهم الذي أرداهم ، فالقيادة لا تكون مع هذا الجنوح ، والحضارة لا تتفق مع هذا الجموح ، حيث لا بد للقيادة والريادة والحضارة من اتباع الحق ، والتواضع ، والمساواة بين الخلق .

ثانياً - المال

المال زينة الحياة لأنه وسيلة للحصول على الحاجات والوصول إلى أسباب الحياة ، وبه تُؤمّن وسائل التقدّم ، وطرق النمو والتطوّر ، لكن النصارى الأوربيين وامتداد اتهم ، وتأثيراتهم على كثير من الشعوب قد جعلوا الحصول على المال غاية بحدّ ذاته وجمعه أمل بغضّ النظر عن طريقة الحصول عليه أهي مباحة أم محرمة . ولم يعد هناك من مانع من قتل الناس للحصول على المال ، فليس غريباً من هدر الكرامات ، وإباحة الأعراض ، وسفك الدماء ،

والمتاجرة بالجثث والأعضاء لتأمين شيء من المال ، وهذه هي فلسفة ما يُسمّونه اليوم ـ مع الأسف ـ حضارة .

أ ـ الاستيلاء على أرض غيرهم : منذ أن انطلقت الحملات الصليبية الاستعمارية من أوربا إلى بلاد ما وراء البحر ، وهي تعمل للسيطرة على أراضي الآخرين دون مبالاة بقتل الآخرين أو إبادتهم ، وهي تلجأ إلى أسلوب المراوغة والمكر في بداية الأمر ، فإذا استطاعت السيطرة كان لها ما تبغي ، وإن لم تستطع اتخذت وسيلة التهديد والإغراء فإن تمّ لها ما تريد تحكّمت ، وإلا استعملت القوة وجلبت المرتزقة ، واستنفرت قواتها ، وانطلقت كالذئاب الكاسرة تقتل ، وتُبيد ، وتدُمّر ، وتُتلف لا تبالي بأي شيء تقوم به فإذا ما أخضعت لجأت إلى أخذ خيرات بلادهم ، وألزمتهم على أعمال السخرة ، واسترقت ما تراه من نساء ورجال ، واستعملتهم في حوائجها كلها وهذه هي الطريقة الاستعمارية التي سارت عليها

دول أوربا النصرانية الاستعمارية كلها في سبيل الحصولٓ على المال أو ما يُؤدّي إليه من نهب الثروات ، وأخذ الخيرات ، واستعباد السكان أو استرقاقهم ، وجعل بلادهم سوقاً لخيراتها ، وبيع من استرقت في أسواق النخاسة .

٢ ـ السيطرة على مناطق الثروة : بقيت الطريقة السابقة مدة المرحلة الاستعمارية كلها أي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم استبدلتها بأسلوب آخر يُوفّر عليها شيئاً من التعب ، وتدخّر نتيجته مالاً أكثر ، وذلك هو السيطرة على المناطق الغنية بالثروات الباطنية كالنفط ، والمعادن ، والمطاط ، والثروات الزراعية ، أو السيطرة على المناطق ذات الأهمية الخاصة إذ تستطيع باحتلالها الهيمنة على مناطق واسعة ، والإشراف على ممرات وطرق مهمة لها ولسياستها ولتنفيذ مخططاتها . وذلك بإبقاء قواعد عسكرية فيها عدد من الجنود والأسلحة الحديثة ، أو ربط عجلة الدولة بها مباشرة بأسلوبٍ

من الأساليب ، وبذلك حصلت دول أوربا النصرانية وامتداداتها على أموال طائلة استعملتها في وضع المخططات وتنفيذها ، وتحقيق سياستها النصرانية .

وكانت الكنيسة تُشجّع ذلك الاستيلاء ، وتلك السيطرة ، وذلك القتل وتلك الإبادة إذ ترى من وراء هذا كله قوةً لأتباعها وهيمنةً لأبنائها على أعدائها من المسلمين ، ولا تنظر إلى الجانب الإنساني ، ولا تُفكّر في موضوع الرحمة ما دامت القضية في مصلحتها حسبما تعتقد .

٣ـ الربا : ولم تُمانع حكومات الدول النصرانية من المعاملات الربوية ولو أدّى الأمر إلى موت الملايين فقراً ، وجوعاً ، ومرضاً ما دام المتنفذون هم الذين يملكون الأموال ، وبهذه المعاملات تزداد أموالهم ، ويبذخون ويعيشون على جثث تلك الفئات التي كانت بحاجة إلى الاقتراض ، وتضطر أن تدفع ما تجنيه إلى أولئك الجشعين من المتنفذين .

٤ـ الاحتكار : وسمحت الدول الرأسمالية بالاحتكار ، ولو أدّى ذلك إلى موت الشعب كاملاً مادام المتنفذون هم الذين يملكون الأقوات التي تُعدّ أساسيةً بالنسبة إلى حياة الناس ، ويرفض أولئك الجشعون بيع أي مادةٍ مهما كان الشعب بحاجةٍ إليها إلا بالسعر الذي يرغبون للحصول على المزيد من المال الذي يتصرفوت به كما يريدون .

ولم تكن الكنيسة لتهتم بالأمر مادام لا يعنيها ، بل تريد زيادة أموال المتنفذين فربما لتحصل على مساعداتهم إن أيّدت ما يقومون به .

وتعد الربا والاحتكار أهم دعائم النظام الرأسمالي الذي تتبنّاه تلك الدول النصرانية وتعتمده ، والكنيسة لا علاقة لها بالنظام فاختصاص سدنتها بالمجال الكنسي فقط ولا علاقة لهم بنظام الحياة .

٥ـ المخدرات : وعلى الرغم من أن المخدرات تفتك بالجسم وتنهكه ، وتودي به في النهاية إلى الهلاك ،

فهي بذلك تهدر طاقات الأمة ، وتعطّل عطاءها ، ومع أن الدين يحرّم هذا ، والعقل السليم يُحرّمه كذلك ، إضافةً إلى أن النظام يمنعه غير أن هذا المنع يبقى اسمياً وظاهرياً لدى الدول التي تهيمن اليوم على العالم ، وتدّعي الحضارة فإن الدخان والخمور على مختلف أنواعها ، وأسمائها مباحة في تلك الدول ، بل ـ ومع الأسف ـ في أكثر الدول الإسلامية ، وهي بداية المخدرات .

ومع أن المخدرات تُحرّمها الأنظمة القائمة إلا أن تهريبها يتم تحت سمع وإشراف النظام ، وليس غريباً إذا قلنا أن شركات الإنتاج والتهريب لها قنوات مع أفراد من رؤوس تلك الأنظمة وينالون نصيبهم من المال ، بل وبعضهم يتعاطى مهنة المتاجرة به مهما كان غنياً ، ومهما كان من المشرفين على تطبيق تلك الأنظمة .

كل ذلك في سبيل الحصول على المال ، ولو أدّى الأمر إلى الفتك بالشعب ، وإلى استشراء تلك

الأمراض «المخدرات» بل يسعون إلى زيادة الاستشراء في سبيل تدفّق المال إلى جيوبهم بصورةٍ أكبر ، وهذا مايساعدهم على تأمين مصالحهم، وتنفيذ مخططاتهم ، والحياة بشكلٍ أكثر رفاهيةً حسب تصوّرهم ، وتحقيق المتعة ، والوصول إلى شهوات النفس والجسم كاملةً .

ولا تتدخل الكنيسة في هذا المجال أبداً حيث لا يعنيها الأمر فهو بعيد عن اختصاصاتها ، وربما ساهم بعض رجال الكنيسة في المتاجرة بهذه المادة أو تعاطيها .

٦ - المرأة : لما جنحت الحياة في أوربا نحو المادة ، وغاص الناس في أوحالها إلى الأذقان ، ولم يعد لهم من همٍّ سوى الحصول على المال بأى شكلٍ من الأشكال ، حتى من الأبناء فأصبح إذا بلغ الولد السن الثامنة عشرة من ذكر أو أنثى ، طولب بتقديم نصيبه من مصروف البيت بل بدفع أجرة مسكنه ، ونفقة طعامه وشرابه والمصروف ، طولب بذلك المصروف دون البحث في مصدر هذا المال ، وهذا يعني انقطاع

الصلة بين الولد ووالده ، وتفكك الأسرة قبل كل شيء . ثم انصراف الأبناء إلى التفتيش عن مجال الرزق ، فقد أصبحوا أمام ذويهم ، وفي الوقت نفسه مسؤولين عن النظر إلى المستقبل وكيفية تأمين الحياة .

ونتيجة هذا الواقع ظهرت فلسفة خاصة في الحياة الأوربية هي أن «المرأة تشكل نصف المجتمع فلماذا نجعلها مشلولةً ، ونهدر طاقاتها ، ونمنعها من العمل» .

نزل الأبناء إلى مجال العمل ، وغالباً ما تتيسر الأعمال للشباب دون الفتيات بسبب البنية الجسدية حيث أن الشاب قادر على العمل في مناجم الفحم ، وفي معامل الصلب ، وفي أعمال التنظيف في الشوارع ، وأعمال النقل الثقيلة وهذا ما تعجز عنه الفتيات .

اضطرت الفتيات إلى تقديم التنازلات ، وأجبرت إلى تقديم عروضٍ أفضل ، وهنا استغل

وضعهن وعرض عليهن أعمال فيها إساءة إليهن في المبيت خارج المنزل ، والعمل مع الرجال والاختلاط ، وبدأت تُهان الكرامة ، وكان المهم الحصول على المال بأي وسيلةٍ من الوسائل .

لم تكن هناك من هيئة لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حتى الكنيسة لم تبحث في هذا لأنه ليس من اختصاصها فهذا أمر شخصي ، وربما لرجال الكنيسة فائدة أو مصلحة في ترك الحبل على الغارب .

والقضية ترتبط بالسلطة وليست هناك من علاقة بين السلطة والكنيسة حيث يوجد انفصام تام وكل طرف يكتفي بالتبعية الاسمية للطرف الثاني .

٧ً - بيع الدم والأعضاء : وقد وصل الأمر إلى مداه في العمل على قتل الإنسان لأخذ أعضائه وبيعها إلى الذين يحتاجون إليها لفشل أعضائهم عن العمل كالقلب ، والكلى ، والعيون في سبيل الحصول على مبلغٍ من المال ، وربما أحياناً سحب دماء الإنسان

لبيعها أيضاً إلى مصارف الدم ، ومع أن المبلغ الذي يحصلون عليه زهيداً مقابل القتل إلا أنهم لا يبالون أبداً ، إذ يحصلون على المال مهما كان قليلاً لأنهم لا يدفعون شيئاً ، ولا شك فإن سحب الدم يُؤدّي إلى الموت ، إذ أن المجرم لا يكتفي بأخذ كمية من الدم ، فما دامت الجريمة قد وقعت فليسحب الدم كاملاً ، وبذا يحصل على مبلغ أكبر .

ويدخل ضمن هذا الإطار تلك المنظمات الإجرامية التي تُؤدّي خدمات لبعض الأشخاص ، أو المؤسسات السياسية بقتل خصومهم لقاء مبالغ ضخمة من المال لتلك المنظمة المعروفة باسم «المافيا» .

ثالثاً ـ المتعة

لما كان الناس لا يعرفون الله ، ولا يعلمون الحق ، ولا يُبالون بتطبيق شرع ، ولا يهتمون بقيم كانوا كبقية المخلوقات همّهم الطعام والشراب والمتعة في هذه الحياة الدنيا ، والواقع الذي نراه في دول

أوربا وامتداداتها أن همّ الناس لا يزيد على الحصول على المال وتأمين المتعة ، ولا تبالي الكنيسة في هذا أبداً إذ ترى في ذلك إفساداً للمجتمع الإسلامي عندما يأخذ بهذا الأسلوب بصفته الضعيف المقلِّد ، والدول التي تنتمي لكنائسها هي القوية والمتبوعة ، وإذا فسد المجتمع الإسلامي كان الربح للنصرانية وتحقيق لأطماع الكنيسة ، كما أن هناك مصلحة لرجال الكنيسة وسدنتها في تأمين المتعة ، ومن هذه المنطلقات فالكنيسة راضية عما يجري إضافةً إلى أنها لا تتدخّل في شؤون الحياة حيث لا علاقة لها فيها ، إذ لا يتعدّى اختصاصها إقامة الطقوس والقُدّاسات فهي تختلف كل الاختلاف عما في الإسلام الذي يشمل نظاماً يلف جوانب الحياة كلّها ويضمّ مختلف الأنظمة البشرية .

ومن هذا المنطلق فالحياة الاجتماعية في الدول النصرانية تعتمد بمجملها على الحصول على المال وعلى تأمين المتعة ، وقامت القيم ، والمفاهيم ،

والأعراف على هاتين النقطتين ، وأصبحتا أساس أنظمة الحياة من سياسةٍ ، واقتصادٍ ، واجتماع ، ويدعون الآخرين إليها ، ويعرفونها على أنها حضارةً حسب اصطلاحهم أو بالأحرى حسبما تقوم عليه حياتهم . وتحدّثنا عن المال وطرقهم في الحصول عليه ، أما المتعة فتعتمد على الحياة الجنسية ، ولتحقيقها أدخلوا المرأة في المجال وبنوا على ذلك فلسفةً خاصةً بهم .

لقد دعوا إلى اختلاط النساء مع الرجال ليُحقّقوا من وراء ذلك شهواتهم ومتعتهم ، وأعطوا لذلك فلسفةً خاصةً قدّمها لهم الشيطان وهي أننا نريد مجتمعاً متفتحاً لا أثر للخجل فيه يتكلم الرجل بطلاقةٍ وقوةٍ ، وتتحدّث المرأة فيه بصراحةٍ وشجاعةٍ ، وهذا لا يكون إلا بالاختلاط ، فإذا كان كل جنسٍ بعيد عن الآخر لا يستطيع الرجل أن يتحدّث أمام النساء حيث يخجل ويتعثّر ، كما لا يمكن للمرأة إن رأت رجالاً أن تتكلم بل لا يمكنها السير فهي تتلعثم

وتتحرّج . وهذا لا يصحّ بعرفهم لأن الأصل عندهم فقدان الحياء وضرورة حديث الرجل للنساء والمرأة للرجال ، وجلسات مشتركة من الفكاهة ، ولقاءات مختلفة طابعها الميوعة في سبيل الحصول على الشهوة ويرون أن المجتمع الذي لا اختلاط فيه يُفكّر رجاله فيه باستمرار بالمرأة ، ويكون شغلهم الشاغل ، ويملأ فكر المرأة الرجل ، وإن كانت تخفي ذلك نتيجة حيائها ، وما فطرت عليه من الخجل (وذلك لتتكامل الحياة فيطلب كل جنس الآخر وتكون بينهما مودة ورحمة ، وليحصر كل طرف رغبته بما أحله الله له ويقنع بما رزقه) . أما المجتمع الذي يعيش حياة اختلاطٍ وخلوات فتكون الحياة فيه طبيعيةً فلا يُشغل فكر رجل بامرأة ، ولا تهتم امرأة برجل ، كل ينطلق في عمله لا شيء يُشغل البال ، ولا أمر يُعطّل التفكير ، ولا قضية تستقطب الذهن وتمنعه من العمل (لأن تأمين اللذة مبذول وتحقيق الشهوة معروض كقطيعٍ من السوائم . مجتمع تختلط فيه الأنساب ، وتضيع فيه الأصول . تتناطح فيه الكباش على نعجة ،

وتتصارع الثيران على بقرة ، ثم ينصرف كل ذكرٍ إلى أنثى ثانيةٍ غير الأولى ، فالأمر مبذول معروض بل يمر كل جنس بالآخر وليس في نفسه رغبة الآخر لكثرة العرض وقلّة الطلب ، فالنزوة قد تحقّقت ، والشهوة قد فُقدت لكثرة ارتوائها ... فلا رغبة فيها) . وهكذا جنحت أوربا وامتداداتها وكنائسها بالسلوك الإنساني عن مساره الطبيعي إلى طلب منه السير فيه إلى سلوك بهيمي في سبيل تأمين المتعة .

ودعا سدنة الأنظمة الأوربية إلى عمل المرأة لا إلى العمل الذي هُيّئت له ، وفُطرت عليه وإنما إلى الأعمال كافةً وخاصةً التي لم تُهيّأ لها كالعمل خارج المنزل والأعمال الشاقة ، ونظافة الطرقات ، بل والمبيت خارج عشّها في المعسكرات والمخيمات كمشاركة في الجندية والعمل المختلط وغير ذلك من الأعمال التي لم تُخلق لها لطبيعتها الأنثوية الضعيفة ، وذلك بحجة أن المرأة نصف المجتمع وأنه لا يصح إهدار طاقاتها ، وكأن عملها الذي هُيئت له لا

فائدة منه ، وهو هدر للطاقة ، وليس خدمةً للمجتمع ، والواقع أن الهدف من ذلك تحقيق المتعة لقطاعات المجتمع كلها أو بالأحرى العمل على إفساد المجتمع جميعاً رغبةً في وصول هذا الفساد إلى المجتمع الإسلامي والنخر فيه لإبعاده عن عقيدته وفي ذلك انتصار للنصرانية على الإسلام .

وهكذا جنحت أوربا وكنائسها بالفطرة البشرية عن مسارها الطبيعي الذي فطرت عليه ، وهُيِّئت له فكُلِّف كل جنسٍ بدورٍ معينٍ يُؤدِّيه ، ويقوم به ، ويجتهد فيه ، وينال أجره ، فإذا سار في غير ما رُسم له ضلّ ، وفقدت البشرية فطرتها ، ونال من فعل جزاءه يوم القيامة .

وأما سدنة النظام والمشرفون عليه فقد أوجدوا لأنفسهم أسلوباً يُحقّقون فيه متعتهم باسم النظام ليكون عملهم مشروعاً حسب الأعراف التي وضعوها لأنفسهم ، لقد وضع كل مسؤول لنفسه أمينة للسرّ يختارها من رائعات الجمال ، يختلي بها ، وترحل

معه ، وتبيت (بالقرب منه) وتكون بجانبه في حلّه وترحاله ، وشاع هذا الأمر حتى غدا طبيعياً ، لا يتمّ النظام دونه ، ولا يتكامل الجهاز الرسمي بسواه ، بل من الصعب جداً وجود أمين للسر ، أو مدير للمكتب إلا من النساء فقط ، ومن الجميلات بالتأكيد . وفي المستشفيات والمراكز الطبية الممرضات . وفي الطيران المضيفات ، وغدت هذه الأعمال كلها من اختصاص النساء ، ولا تصلح للرجال أبداً ، لأنها من اختصاص المرأة (حسب الأعراف الموضوعة) وهي التي تجيدها ، ولا يمكن للرجل أن يتقنها ، بل وفي الكنائس راهبات ، ويُحرّم عليهن الزواج كي لا يحملن حتى لا تختلط الأنساب من الرهبان وغيرهن وهذا كل ما بقي من تعاليم الكنيسة ألا تنجب الراهبات حتى لا تضيع الأنساب مع كثرة المباشرات لذا من الأفضل عدم زواجهن رسمياً ، وهذا ما اقتضاه الأمر بتحريم الزواج .

وفسحت الكنيسة للرجل أن يُعاشر ما شاء من

الخليلات بأسماء مقنعة ، ومنعته من أن يُعدّد في الحليلات انتقاداً للإسلام وهجوماً عليه .

روّج سدنة النظام الأوربي لأفكارهم بالتمثيل ، وقامت دور الصور المتحركة ، وأجهزة الإعلام الحديثة تبثّ الدعاية لآرائهم حتى شاعت ، واستقطبوا إليها الفتيات باسم العمل الذي صار شعار أوربا وتحت مُسمّى الحصول على المادة الذي غدا أساس الحياة في أوربا . والواقع أن الهدف كان الحصول على المتعة بجعل الفتيات تحت إشرافهم وخدمتهم ، ويتبعنهم ، ويتلقّين التعليمات منهم ، ويُنفّذن أوامرهم . ومن ناحيةٍ ثانيةٍ ينتشر الفساد ، ويصل إلى الهدف وهو الإسلام فيرمي أبناءه بسهمٍ بعد سهمٍ . ولا شك أن انتشار الفساد يجعل المراعي كثيرةً أمام سدنة النظام فيختارون ما طاب لهم ، ويرتعون كما يشاء لهم هواهم ، ويتنقلون من مرعى إلى آخر .

ووجد السدنة في الفتاة التي نزلت إلى ميدان العمل لتجني من المادة ما يمكنها جنيه ، وجدوا فيها

ضالتهم للحصول على المعلومات عن الخصم ، واصطياد الأعوان إذ غدا الكثير من الرجال يُلقون شباكهم لاصطياد أجمل الظباء ، ويسعون وراء المتعة ، فسخّرت الفتيات للعمل في الجاسوسية فكانت الصياد والمصيد ، تصيد الأخبار والأعوان ، وتقع في الوقت نفسه فريسةً بأيدي فريستها ، أو لهذا اختيرت ، ولهذا أرسلت ، وبهذا كُلّفت ، وتلقّت التدريب على ذلك .

وكان السلاح هو الجمال ، وكانت تجارة الأسلحة ، فمن ملكت السلاح نجحت في مهمتها ، وفرضت رأيها ، وأجبرت خصمها على الاستسلام ، وأصبحت علماً من الأعلام في الميدان الذي تخوض غماره ، بل كانت هدف السهام منذ معرفة سلاحها ، لذلك كانت تقع في حبائل شياطين الإنس والجن ، وتُقاد في ميادين أمانة السر والجاسوسية ، والفنّ ، والتجارة بالأجسام ، ويأتي نحوها النخّاسون ، وأصحاب الأموال ، والمتسلّطون على رقاب الناس .

وأما التي لا تملك السلاح فتعرض نفسها فلا تجد إلا سقط المتاع ، ومن خانه الحظ ، وجفاه المال ، وعمل أجيراً وخادماً ، ولم يستطع تأمين متعته إلا خلسةً عند أضعف الرواحل وأهزلهن .

وهكذا جنحت أوربا وامتدادها بالمرأة عن الطريق الصحيح إلى درب الرذيلة ، وجنحت في تحقيق المتعة عن مسارها السليم إلى طريق الغواية ونشر الفساد ليغبّ سدنة النظام متعتهم كما يشتهون .

رابعاً ـ حكم الشعب (الديمقراطية)

أوجد سدنة النظام في أوربا لعبةً للحكم تعتمد على المنافسة للوصول إلى استلام السلطة ، ويمكنهم عن طريق المنافسة إدخال من يشتهون في داخل جهاز الإدارة من تبديل أو تغيير . وادعوا أن هذا النظام هو أرقى ما وصلت إليه البشرية ، وأسموه الديمقراطية ويعنون به حكم الشعب نفسه بنفسه .

طبّقت أوربا هذا النظام ودعت العالم إلى تطبيقه ، وعدّت الأخذ به مدينةً واعتماد سواه رجعيةً وتخلّفاً وتقصد بذلك الإسلام ، وفي المرحلة التي سيطرت فيها أوربا على العالم عمدت على تطبيق هذا النظام في كل بقعةٍ حكمتها ، وكل أرضٍ تسلّطت عليها كمخططٍ صليبي لإبعاد المسلمين عن تطبيق الشريعة ، والأخذ بالقوانين الوضعية . ويمكن أن نقول : إنه قد تمّ لأوربا ما تريد في معظم جهات العالم ومن بينها دول العالم الإسلامي ، وإن كانت الرعية في البلدان الإسلامية بقيت تُنادي بتطبيق الشريعة وتُطالب حكوماتها بذلك ، ولكن من غير استجابة إذ أن معظم تلك الحكومات كانت قد ارتبطت بمن سلّمها السلطة ، وحماها ، وحافظ على كيانها لتبقى في فلكه سائرةً ، ولأوامره منفّذةً .

ولما كان أمر المسلمين قد ضعف فقد غدوا يُنادون بحكم الشعب (الديمقراطية) ، ويتخذونه نظاماً ويرفعون شعاره فارتاحت أوربا لذلك ،

وشعرت أنها قد قطعت شوطاً في إبعاد المسلمين عن عقيدتهم فهاهم قد تبنّوا القوانين الوضعية ، وأخذوا بنظام الديمقراطية . غير أن بعض المسلمين قد صحوا من غفلتهم ، وأدركوا واقعهم ، ورأوا أنه لا مانع من السير في طريق الديمقراطية كمرحلةٍ للوصول إلى السلطة ، ونظموا أنفسهم ، ودخلوا باب المنافسة والمصارعة السياسية ، فتوجّست أوربا وامتدادها خيفةً ، وتربّصت للانقضاض ، غير أن المسلمين لم يُوفّقوا بالنجاح لأسبابٍ كثيرةٍ وإن كانوا قد قطعوا مرحلةً ، وهذا ما جعل أوربا هادئة نسبياً ، غير أنها كانت تراقب بحذر ، وترسم المخططات لفشل الإغراء والفتنة وقد تنجح ، وربما تفشل .

وبقيت محاولات المسلمين ، ولم يخرجوا عن إطار نظام أوربا الديمقراطي . وفجأةً انطلقت الذئاب الكاسرة تعوي بِشكلٍ مسعور ، ترتفع أصواتها من كل جهةٍ ، وتجاوب معها أعوانها حتى من البلدان الإسلامية ، وشُده العالم لهذا العواء ، وإن كان معظم

الناس لا يدرون ما يعني هذا العواء ، ولا يعرفون له سبباً ، فأصغوا يتفهمون فإذا بالذئاب الكاسرة تعلن أن النظام الديمقراطي لا يصلح لبعض البلدان الإسلامية التي يغلب عليها التطرّف ، ويُسيطر عليها الأصوليون ، وبقي الأمر شبه غامض على الناس عن سبب العواء المفاجىء ، فإذا بهم أمام حقيقةٍ ناصعةٍ هي أن الدلائل تُشير في انتخابات الجزائر أن فوز الجبهة الإسلامية مُحقّق رغم أنها قد تمّت حسب اللعبة الديمقراطية التي تتبنّاها أوربا وامتداداتها ، وهذا ما جعل عُواء الذئاب الكاسرة يرتفع من كل مكانٍ ، وتتجاوب معها الكلاب المسعورة رغم العداوة الظاهرة ، وتُلقى الأموال من عدة جهات إلى حكومة الجزائر للوقوف أمام المدّ الإسلامي . ويُعلن الرئيس الفرنسي أنه على استعداد لغزو الجزائر فيما إذا نجحت جبهة الإنقاذ الإسلامي ، وذلك لأن فرنسا قد استعمرت الجزائر أكثر من مائة وثلاثين سنة وقد عملت الجهود كلها لإبعاد شعب الجزائر عن عقيدته ، وتوقّعت عندما خرجت منها صاغرةً بعد الثورة في

الجزائر أنها قد أدّت دورها الصليبي أفضل تأدية ، وأن الجزائر قد انفصلت عن عقيدتها ولغتها ولا يمكنها أن تعود إلى سابق عهدها الإسلامي أبداً ، وأن الثورة التي قامت لن ترفع إلاّ شعار اللادينية ولن تُطبّق إلا القوانين الوضعية ، ولن تسير إلا حسب النظام (الديمقراطي) ، فما مضت إلا عشرات السنين (أقل من ثلاثين سنة) إلا وتصدّر المسلمون الصفوف ، ونالوا تأييد غالبية الرعية ، لذا عدّت فرنسا نجاح جبهة الإنقاذ الإسلامية لطمةً لها ، ولسياستها الصليبية الاستعمارية الفاشلة ، وهذا ما جعل الحكم الفرنسي يسارع في رفض انتخابات الجزائر .

ولكن سدنة النظام (الديمقراطي) الذين كانوا يدّعون صلاحية نظامهم ، وأنه الحضارة فكيف يرفضونه ، عندما يوصل جبهة الإنقاذ الإسلامي إلى السلطة ، إنهم جنحوا إلى المغالطات وإلى الافتراءات ، فأعلنوا إن جبهة الإنقاذ الإسلامي تريد أن تقضي على (الديمقراطية) ، وأنها ضدّ

(الديمقراطية) ولا يمكن للنظام العالمي أن يسمح بالقضاء على (الديمقراطية) بل بالمساس بها ، لذا فهو ضدّ جبهة الإنقاذ الإسلامي ، ولا يقبل أبداً إكمال الانتخابات ... وفعلاً أوقفت حكومة الجزائر عملية الانتخابات وخضعت لضغوطٍ شديدةٍ ، وجاءتها أموال كثيرة من عدة جهاتٍ لمقاومة التيار الإسلامي .

وعندما أحسّ سدنة النظام (الديمقراطي) أن الناس في كل مكان قد أدركوا المغالطات ، فإن جبهة الإنقاذ الإسلامي قد نجحت حسب الأساليب (الديمقراطية) وأنها تنادي بها ، وتتعهد بالمحافظة عليها ، عندما أحسّ سدنة (الديمقراطية) ذلك أعلنوا أن (الأصوليين) يقصدون المسلمين ، هم متطرفون ، وهم أعداء (للديمقراطية) ، ويريدون أن يصلوا إلى السلطة عن طريقها ، وحين يصلون إلى ما يبغون يحاربون (الديمقراطية) لذا لا يمكن أن نسمح لهم بالوصول . وجنحوا إلى العداوة ضد الإسلام ، وإلى إعلان الصليبية ، وبدأ الهجوم على المسلمين بأسماء

أطلقوها عليهم «الأصوليون» و«المتطرفون» و«الإرهابيون» و«المتشدّدون» وعمّ هذا الهجوم على المنظمات الإسلامية في الجزائر ، وفي أمصار العالم الإسلامي جميعاً ، وأخذت أجهزة الإعلام ووسائلها المختلفة تهاجم الإسلام والمسلمين تحت مظلّة هذه الأسماء المستعارة التي أطلقوها على المسلمين ، وأخذت وسائل الإعلام في كل مكان تُردّد هذا حتى في الأمصار ، سواء أكانت تعني ما تُردّد كفراً وردّةً ، أم نفاقاً ومكراً ، أم غفلةً وجهلاً .

ودُعمت حكومة الجزائر المتعاونة ، وقدّمت لها وسائل مقاومة التيار الإسلامي من أموالٍ ، ودفعٍ معنويٍ ، وتأييدٍ دوليٍ ، واستمرت الذئاب الكاسرة تعوي ضدّ الإسلام ، والمنظمات الإسلامية وتُسمّيها كلها بالأصولية ، والمتطرفة ... وتُعلن أن (الديمقراطية) لا تصلح مع الذين لا يُؤمنون بها ، ولا يمكن تطبيقها في البلدان التي لم تبلغ بعد مرحلةً من النضج السياسي (ويقصدون البلدان التي يمكن للإسلاميين

أن يُحققوا فيها نجاحاً في الانتخابات فيما لو تقدّموا إليها ، وسُمح المجال أن تتمّ عمليات التصويت بحريةٍ ونزاهةٍ) .

واستأسدت حكومة الجزائر بعدما حصلت على تأييد ودعم واسع فأخذت بالظلم والبطش والإرهاب ، وهكذا جنح سدنة (الديمقراطية) عن السبيل التي يؤمنون بها إلى الطريق التي يحاربونها في سبيل تحقيق مكنونات نفوسهم المشحونة بالحقد على الإسلام وأبنائه .

خامساً ـ العلم

انتقلت علوم المسلمين إلى أوربا عن طريق الأندلس ، وصقلية ، وجنوبي إيطاليا ، وأثناء الحروب الصليبية ، وعن طريق التجارة والاتصال ، كما انتقلت في بداية الاستعمار الصليبي إذ نقلت كتب وأدوات ، وأخذت بضائع وصناعات ، أسهمت في نهضة أوربا وتطوّر ما وصلت إليه من علوم .

اتخذت أوربا العلم الذي نقلته في اتجاهين أولهما لتقدّمها ، وللإفادة من العلم ، وللعمل على تطوّره ، وهو اتجاه صحيح ، ويُؤدّي إلى حضارة ، أما ثانيهما فهو لمحاربة المسلمين خاصةً وللعالم عامةً باستثناء النصارى في سبيل إبادة المسلمين والسيطرة على الأرض كلها ، وهو اتجاه خطير حيث فيه جنوح بالعلم عن مساره العلمي والسير به إلى تدمير الحضارة ولذا فهو ضدّ الحضارة إن العلم الذي يوضع لخدمة الإنسانية ويبذل الجهد لتطوّره للهدف نفسه يعد هذا من ثمار الحضارة الناضجة ، ولكن العلم الذي يوضع لتدمير نتائجه ، ويعمل على إبادة البشرية إنما هو وحشية حيث ينزل بالإنسانية إلى الحضيض ، ويعدّ تراجعاً بالحضارة وإن عوت الذئاب الكاسرة بأعلى صوتها إنه حضارة . ولنأخذ بعض الأمثلة التي جنحت بالعلم نحو الهاوية .

الاستشراق : منذ أن سيطر المستعمرون الصليبيون على ديار الإسلام أخذ ينصرف بعضهم لدراسة لغات

الشعوب الإسلامية ، والحياة الاجتماعية عندهم ، وتاريخ بلادهم ، وجغرافيتها ، وكتب التراث ، بل والإسلام وراء أهداف كثيرة منها :

١ - محاولة وجود ثغرات يستطيعون أن ينفذوا منها للطعن بالإسلام ، والتشكيك به .

٢ - التعرف على نقاط يمكنهم من خلالها أن يحيكوا مغالطات تجعل شكوكاً لدى المسلمين .

٣ - العمل على إيقاع الفرقة بين الشعوب ، ومحاولة توسعة الشقة بين الآراء .

٤ - محاولة اصطناع أعوان لهم بدراسة بعض النفسيات المريضة وذات الأطماع والشهوات .

٥ - العلم للكيد للإسلام وأهله .

وقد عُرف هؤلاء الذين انصرفوا لهذه الدراسة باسم المستشرقين ، وعُرفت طريقتهم بالاستشراق ، والتسمية نفسها يقصدون بها أن الإسلام في الشرق ، ولا علاقة للغرب به ، فهو دين شرقي وللشرق فقط ،

وقامت سياسة عالمية أوربية لهذا المعنى ، فعدّوا الصراع بين الفرس والإغريق ، وبين الفرس والروم ، وبين المسلمين والروم صراعاً بين الشرق والغرب ، وعدّوا الحروب الصليبية ردّ فعل لانتصارات المسلمين ، والتقدّم العثماني في أوربا ردّاً على الصليبيين ، والاستعمار الصليبي الأوربي ردّاً على التقدّم العثماني و عندما ضعفت الدولة العثمانية وسمّوا حربها ومنازعتهم على اقتطاع أجزائها (المسألة الشرقية) ووافقهم على ذلك غفلةً وجهلاً مسلمو هذه الأيام .

ولقد بذل المستشرقون جهوداً كبيرةً في دراستهم ليصلوا منها إلى بعض أغراضهم ، واهتموا بشكلٍ خاصٍ بدراسة الشعوب وحياتهم الاجتماعية وعاداتهم ليوجدوا التفرقة ، وليثيروا الروابط الجاهلية فاهتموا مثلاً بالحياة الجاهلية قبل الإسلام ليربطوا سكان الأقاليم بحياة أسلافهم الجاهلية ويفخروا بها ، ويتركوا الرابط الإسلامي ، فركزوا

على حياة الفراعنة وما قاموا به من أهرامات ومعابد ، وما خلفوا من آثار ليفخر المصريون به ، ويتركوا العصر الإسلامي ، وإن لم يكن لهذا أثره بين المسلمين الملتزمين ، إلا أن أثره قد ظهر عند المتفرنجين ، وكذا بقية الأمصار والأقاليم ، وأثاروا العصبيات النتنة (القوميات) فأثرت في عواطف الجهلة ، وإن لم تصل إلى شغاف قلوب المسلمين .

وحرّض المستشرقون الإفريقيين السود ، وادعوا لهم أن الإسلام دين خاص بالبيض ، كما أثاروا أصحاب العقائد الوثنية وزعموا أن الإسلام جاء ليبيدهم و ... وهكذا جنح العلم عن مساره الصحيح إلى التفرقة ، والإثارة ، والتحريض ، والخداع ، والمكر ، والافتراء وبعد هذا زعم سدنة النظام الأوربي أن هذا من ثمار حضارتهم ، ومن نتاج عملهم ، وهذه هي حضارتهم التي يفخرون بهم .

ترى المستشرق يتحدّث عن المنهجية والموضوعية فإذا كان البحث يتعلّق بالإسلام جنح عن

الطريق ، وأخذ يُغالط ويبتعد عما كان يتكلم عنه في ضرورة تَحرّي الحقائق ، والإنصاف ، والموضوعية و... وصار يفتري ، ويقدّم من عنده افتراضات ويتوصل إلى نتائج بعيدةٍ البعد كله عن الصواب ، ويجنح إلى الباطل في هجومه ، وتغيير أسلوبه ، ولو سألته بما يفهم منه المخالفة أو المعارضة انقلب إلى ذئبٍ كاسرٍ ، وبدأ يكيل التهم ، ويتكلم بشكلٍ مسعورٍ .

ولو انتقد إنسان أسلوب مستشرق ، وأبان خطأه ، وفنّد مزاعمه انطلقت الذئاب الكاسرة كلها تعوي ، وتُغالط ، وتهاجم ذاك الإنسان ، وتبيح دمه . وفي الوقت نفسه تتبنّى كل من يتعرّض للهجوم على الإسلام وتدعمه سواء أكان له وجهة نظر أم تعدّياً وحقداً .

ولا شك فإن بعض دراسات المستشرقين ذات قيمة غير أنه لا تخلو دراسة من دسّ السموم ، وبثّ الافتراءات ، ووضع المغالطات ، وإلقاء الاتهامات ، وكلها توضع في ثنايا الدراسة ، ومن خلال التحليلات

التي يُظنّ أنها ذات قيمةٍ ، لتترسّخ في النفوس مع الزمن ، ومن هنا لايوثق بدراسة لمستشرق ، ولايمكن الاعتماد عليها مادام القصد منها الطعن ، والهدف منها المغالطات ، والغاية منها الهجوم على الإسلام ، وإن حبكت بأسلوبٍ رصين ، وادعى صاحبها الموضوعية والمنهجية .

وقد وجدت في أوربا وامتدادها دراسات إسلامية في كثيرٍ من الجامعات الغاية منها بذر الشكوك ، وإثارة بعض الموضوعات التي فيها شيء من المغالطات ومن دراسات الأعداء ، والتوجيه إليها ، وتوجيه الطلاب إلى مواضع الخلاف ونقاط المشتبه ، وفي الوقت نفسه يقفون في وجه الطلاب الملتزمين الذين تبدو عليهم علامات التفوق . ويُقدّمون في الدراسات العليا موضوعات للطلاب يمكن بذر الشوك فيها ، وتوجيههم إلى ذلك ، كما يحاولون ثني الطلاب القادمين إليهم يحملون موضوعات يريدون دراستها ، فيدّعون لهم أنها لا فائدة منها ، ويعرضون عليهم

الموضوعات التي لديهم ... وقلما ينجو من مكرهم دارس ، لأن الطلاب غالباً ما يرغبون بالحصول على الشهادة بل أصبحت عندهم غاية نتيجة المجتمع والظروف التي يعيشون فيها ... كما يجب ألا ننسى الإغراءات التي يتعرّض لها الطلاب بالكتابة ، وفي الكتابة ، وفي التعاون المشبوه ، وفي النساء و ... .

سلاح العلم : العلم سلاح ذو حدين ، وكلا حديه ماضٍ ، فإذا استخدم لخدمة الإنسانية ومتابعة تقدّم العلوم الأخرى كان فيه خير كثير ، وكان ثمرةً من نتاج الحضارة تسعد به البشرية ، وينعم به العباد ، وهو ما تمّ من تطور العلم وارتقاء العالم في سلّم الحضارة .

ولكن إذا ما اتخذ وسيلةً للفتك بالناس ، والعمل على إذلالهم وإخضاعهم أو إبادتهم كان وبالاً على الأمم والشعوب ، وهذا ما حرصت عليه سدنة الأنظمة المادية ، وساسة الدول النصرانية ، فتفتيت الذرة كان تطوراً عظيماً ورفعاً كبيراً في شأن العلم ، وكان يمكن الإفادة منه في الجانب العلمي ، وخاصة مجالات

الطب ، غير أنه استعمل لتهديد العالم وإبادة الناس من قبل الدول التي تملك الذرة ، وبهذا أخضعت الدول الفقيرة التي لا تملك ذلك العلم ، ولا يمكنها العمل في ذلك المجال وخاصةً بعد أن رأت ما حلّ بمدينة هيروشيما ومدينة ناغازاكي في اليابان في أواخر الحرب العالمية الثانية ، وبعد أن رأت آثار ذلك في عدد من المجالات ، وما سمعت عن آثار التجارب .

وتقدّم علم الكيمياء ، وتوّصل أهله إلى مواد سامةٍ ، وعملوا على تطوّرها ، واتخذت لتهديد البشرية وإبادتها ، ومن ملكها أخذ يعمل على عدم تقدم الكيمياء في مناطق ثانيةٍ حتى لا يتوصّل أحد إلى ما توصل وليبقى بيده التهديد ، ولتبقى له الهيمنة على الأرض ، وأصبح الناس يعيشون في فزعٍ عندما تتأزّم الأوضاع السياسية إذ يخشون أن تندلع الحرب ، وتفتك بهم الأسلحة الكيماوية .

وتطوّر علم الجراثيم في سبيل إمكانية تجنّب جسم الإنسان لها ، ولمكافحتها ، ولاتخاذ بعضها ضدّ

بعض للمعالجة ، وللتخلّص منها في سبيل حماية البيئة إلا أن الذئاب الكاسرة لم تلبث أن اتخذت من هذا العلم سلاحاً للفتك بالإنسان ، وأصبح التهديد به من أخطر الأسلحة المرعبة التي تعمل على الإبادة والقضاء على حياة البشر .

ونتيجة تطوّر العلوم ، وقيام التجارب المخبرية ، أصبح نقل الدم من جسم إلى جسم أمراً ميسوراً ، وأصبحت العمليات الجراحية تحتاج إلى دم ، فغدت المتاجرة بالدماء معروفةً عالمياً ، ووُجد أفراد يقومون بمصّ دماء بعض الناس لبيعها في سبيل الحصول على المال ، كما وُجدت منظمات لديها الاستعدادات الكاملة لاختطاف الناس ، ومصّ دمائها ، والمتاجرة بها ، ولطالما تسمع قصصاً تُثير الهلع في النفوس لما فيها من وحشيةٍ ، فهذا مع عروسه التي دخلت محلاً لشراء بعض الحاجات ، وقد تأخّر عنها قليلاً ليُسلّم على صديقه الذي التقى به مصادفةً عند باب المحل ، فإذا بالعروس تغيب ، إذ نقلها مصعد مهيأ

إلى مكان أسفل المحل لمص دمها ، واكتشفت الشرطة المكان ، ولكن كانت العروس قد فارقت الحياة إذ فقدت دمها كاملاً بالسحب للبيع . وذاك وقع في شراك فاتنةٍ فدعته إلى بيتها في المصيف ، وقد أغرته بخُلوّه من القاطنين فاندفع معها مسرعاً وراء شهوته سابحاً بخياله في هواه ، ووصلا إلى البيت ، ودخلاه ، فأسرعت الفتاة وتخفّفت من أكثر ثيابها إغراءً ، وأحضرت كأسين من القهوة ، وقدّمت له أحدهما ، ووضعت أمامها الثاني ، وذهبت لتحضر كوباً من الماء ، فأبدل أثناء غيابها - من غير تفكير - موضع الكأسين ، ورجعت ، وأخذت ترشف من القهوة بشغفٍ مشجعةً له فإذا بها تقع على الأرض مغمىً عليها فأحسّ الرجل بما كان مبيتاً له وقام يريد الهرب ، غير أنه شعر بالعجز لما أصابه من الهلع ، ووصل حبواً إلى باب فدفعه فإذا به يجد خمس جثثٍ مشبوحةٍ وقد سُحب دمها ، فزاد ما به من الفزع ، وأصابه الدوار ، وانطلق يحبو نحو بابٍ آخر ، ووصل إليه ودفعه فإذا به يجد خمسة أجسام معلقة بعضها

قد فارق الحياة إذ انتهى ما به من دمٍ ، وبعضها على الرمق الأخير ، وبعضها يبدو عليها بقاء الروح حيث لم يمض على تعليقها وقت كافٍ ولا يزيد على خروج المجرمة لصيد فريسةٍ جديدةٍ . فما ازداد الرجل إلا ضعفاً وهلعاً ، وأخيراً تمكّن من الاهتداء إلى الباب الخارجي حيث لم يبق غيره ، وعندما خرج عادت إليه بعض القوى ، واندفع إلى الشرطة فجاء أفرادها فوجدوا الأمر كما حدّثهم ، ولكن ماذا يفعلون الآن؟ لم تستطع الشرطة إنقاذ أحدٍ من الأشخاص المشبوحين إذ كانت أرواحهم قد زهقت بفقد الدم ، فأخذوا المجرمة إلى السجن الذي بقيت إلى أن هُيئت الرشوة ، والإغراء ، والاتصال بباقي أفراد المنظمة الذين يتسلّم بعضهم مراكز حساسة ، وعُفي على آثار الجريمة ليبدأ العمل من جديد ، ويُمارس بعمل جرائم أخرى .

إن الطب قد تقدّم كثيراً ، وأصبح من الميسور - بإذن الله - زرع عضوٍ سليمٍ مكان آخر أصابه الكلل

وحلّ به الفشل مثل القلب ، والكلية و ... غير أن التقدّم قد فسح في الوقت نفسه الطريق لقيام جرائم بقتل أشخاص أبرياء للحصول على أعضائهم وبيعها في سبيل الحصول على المال الذي يعدّ عصب الحياة المادية التي سيطرت على العالم ، وهناك قصص كثيرة حول هذه الجرائم ، ونتوقف عن ذكرها لما فيها من إثارة ودبّ الهلع في النفوس ، ولكننا نقول : إنها تدلّ على الشقاوة التي تعيشها الإنسانية في ظلّ هذه الأنظمة القائمة .

وإن سدنة نظام اليوم لتساعد على هذه الجرائم بعدم الضرب على أيدي المجرمين بقوة تمنع غيرهم من القيام بمثل هذه الجرائم ، فهي أولاً لا تسنّ قوانين تقضي بإعدام القاتل ، والذين يقومون بهذه الأعمال لأنهم قتلة ، بل تدعي بأن الحضارة تقضي بعدم وجود قوانين الإعدام ، وتتهم الإسلام بالرجعية لوجود الحدود فيه . ولكن هل جزاء القاتل إلا القتل ؟ وهل يمنع من ممارسة هذه الجرائم إلا وجود القتل لمن

يرتكبها ، ويفسد في الأرض ، ويعمل على الفتك بالناس لتحقيق مصلحة ضئيلة لها بالحصول على بعض المال ، وأمر معرفتهم ميسور ، إذ يبيعون حصيلة جرائمهم علناً إلى المراكز الطبية التي تحتاج مثل هذه الأعضاء . والواقع أن سدنة الأنظمة المادية لتستفيد من هؤلاء المجرمين بمشاركتهم بالحصول على المال ، أو بتنفيذ بعض مخططاتهم بقتل بعض الناس وإزالتهم من الطريق .

سادساً ـ المسؤولية

في الوقت الذي يعمل فه المسؤولون في سدنة الأنظمة المادية على عدم وجود قوانين تقضي بقتل المجرمين ، والقتلة ، والمفسدين في الأرض ، والذين يعملون على الفتك بالناس ، ويطلقون الحرية المطلقة للشعوب ، فيدعون الغرائز تجري في أعنتها حسبما تشاء ، ولكل فردٍ أن يتصرّف حسب هواه ولو بقتل الآخرين في هذا الوقت بالذات تمنع من وضعتهم مسؤولين على البلدان الصغيرة ، والفقيرة ،

والمتحكّمة فيها تمنعهم من أن يُعطوا الحرية لشعوبهم وخاصةً إن كانت مسلمةً ، فالمسلمون لم يستحقّوا بعد الحرية حسب مفاهيم الماديين بل يكلّفونهم بتطبيق أكثر الأحكام جوراً وأشدها ظلماً ، فيفتكون بالمسلمين فتكاً ، ويعملون على إبادتهم وتشريدهم ، وربما انتقل بعضهم ، وهم النخبة من أبناء البلاد وخيرتهم إلى أوربا وأمريكا ، فأُعطوا الجنسية في المكان الذي استقروا فيه ، وعملوا في البناء والتطوّر ودفع عجلة التقدّم بل إن بعضهم يحتلّ مكاناً عالمياً مرموقاً ، وما أكثر الأمثلة على ذلك .

إن الذين وُضعوا مسؤولين على كثير من البلدان الإسلامية غالباً ما تظهر عليهم الوحشية فيقومون بأعمالٍ منكرةٍ قذرةٍ إرضاءً للذين وضعوهم في مراكزهم ، وتزلّفاً لهم ، وحقداً ، وخوفاً من أبناء الشعب ممن يوحي لهم بهم أولئك الأعداء ، وكثيراً ما تتقزّز النفوس من تلك الأعمال وينفر المرء من ذكرها خوفاً من وقوع الهلع في النفوس ، أو دبّ

اليأس ... وتأبى البشرية هذه الأعمال ، وترفضها أحطّ المخلوقات . لقد كانت أعمال الزنا من قبل زبانية المسؤولين بأهل السجين أمام ناظريه ، وهو مكبلٌ ، وعلى مشهدٍ من جموعٍ أخرى ، وقد توضع أوتاد في مواضع العفاف ، والصراخ يرتفع ، والزبانية تقهقه . وفي بلد آخر يُؤتى بقردة لتؤدّي عملية اللواط برجال العلم ، وأصحاب المكانة ، وهم مكبلون مهيئون بالأوضاع المساعدة لذلك ... فأية كرامةٍ تبقى لهؤلاء الرجال ، وأية بشرية هذه التي تمارس هذه الأعمال ... وبعد ذلك يُطلقون عليها حضارةً ، وإن المرء ليأنف من ذكرها ، وتتمنّى النفوس الصمم كي لا تسمع بها .

إن هذه الجرائم لا تحدث في بلاد الجرائم ، ولا في الكفرة الذين لا يعرفون الله ، ولا يسمح بها أبداً ، غير أن سدنة أنظمة تلك البلدان تسرّ بوقوعها في بلدان المسلمين من قبل أعوان السدنة ما دامت تصيب المسلمين ، فأي علم يقرّ بهذا ، وأي حضارة هذه إلا إن كانت جنوحاً بالعلم وبالحضارة حقداً وكفراً .

الخَاتِمَة

العلم ثمرة من ثمار الحضارة يأخذ مساراً لخدمة الإنسانية حيث ينقل إلى الأجيال المعاصرة نتاج الفكر البشري وتطوره خلال موكب العاملين في هذا الميدان على مدى القرون والأجيال المتعاقبة ، ويعمل أبناء كل جيل بما يُسهمون من تفكير على تطوّر العلم ليبقى الموكب في سيره التقدمي وفي خدمته للبشرية ، غير أن سدنة الأنظمة في أوربا وامتداداتها قد عملوا على الجنوح بالعلم عن مساره الصحيح جرياً وراء المتعة ، وسعياً وراء المال ، ورغبةً بالوصول إلى القوة للتسلّط على المسلمين والهيمنة على بلادهم حقداً دفيناً وكرهاً موروثاً دون البحث عن الحق ، ومن غير معرفةٍ للطريق الصحيح ، ودون

رويةٍ للواقع ومن غير تأملٍ في خدمة الإنسانية بل دون التفكير بكلمة الإنسانية .

لقد غدا همّ الذين يعملون بالعلم الحصول على المال ، وتأمين المتعة ، وتحقيق التفوّق على الآخرين لسبقهم في التسلّط وبذا جنحوا بالعلم عن مساره ، وانحرفوا بوظيفته ، وابتعدوا عن أصول مهمتهم ، فكُسف نور العلم ، وأُطفئت مشاعله ، وخبا ضوؤه ، وأصبحت البشرية تترنّح بين متابعة سبيل العلم وبين التوقّف خوفاً من إبادة البشرية ، غير أن هذا الترنّح إن كان من جهةٍ واحدةٍ فإن جهةً ثانيةً تُتابع الجنوح به في خطّه المظلم لتبقى لها الكبرياء ، ولتظلّ لها الهيمنة ، وتمنع غيرها من مجرد البحث به أو التفكير بذلك .

وغدت إبادة البشرية بيد جهةٍ واحدةٍ تتحكّم بالعالم ، وتنشر الفزع والهلع في قلوب العباد فيما إذا خالفها ولو فرد واحد في إقليم كاملٍ ، وتُوجّه سهامها المسمومة على المسلمين فتُصيبهم في المقتل ،

والناس يتفرّجون بين فرحٍ وميت غيظاً دون عمل شيء ، وتحاول أن تنشر غطاءً شفافاً عن طريق وسائل الإعلام ، ودعاية الأعوان ، ومشاركة أولي الأمر في المناطق المنكوبة في سبيل تغطية الجرائم ، وإن كانت ترغب في إظهار ذلك لتُرهب العباد وتنشر الخوف والهلع عسى أن يُغيّروا عقيدتهم وينتصّروا ، وتعلن بعدئذٍ ذلك عسى أن يُقبل نحو النصرانية آخرون ، ويمسك بأطراف الغطاء أولئك الأعوان من الموضوعين على رأس الأقاليم الذبيحة ويعملون من تحت الغطاء طعناً وفتكاً .

وفي الوقت الذي تظنّ فيه تلك الجهة أنها قادرة على الهيمنة على الأرض ، وأن حضارتها ستزهر ، وستزين الأرض بهذه الحضارة التي أصبحت فارغةً من أي مضمون ، يشعر أهلها بالخواء الفكري ، ويحسّ الناس دائماً بالخوف والفزع ، والهلع يكاد يقطع قلوبهم ، والمؤامرات والدسائس لا تنقطع ضدّ الأمم والشعوب ، وتعمل المخططات باستمرار للفتك

بمن لا يخنع لهم ، فــإن خـضـع وســار تحت جناحــهم طالبـوه بتـرك عقيـدته واعـتناق النصـرانيـة وإلا بقي السيـف مصلتاً فوق رأسه ، في هذا الوقت الذي تظنّ فـيـها تلك الجهـة أنـهـا قـادرة على ذلك يتمّ أمـر الله ، فـيهلك تلك الجهة المهيمنة ، ويحكم آياته ﴿ إنما مـثل الحياة الدنيـا كمـاء أنـزلنـاه من الـسمـاء فـاخـتلط به نبـات الأرض ممّا يأكل النـاس والأنعـام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمـرنا ليـلاً أو نـهـاراً فـجـعلناها حصيـداً كأن لم تـغن بالأمس كـذلك نفـصّل الآيات لقـوم يتـفكرون * والله يدعــو إلى دار الســلام ويهـدي من يـشـاء إلى صراطٍ مستـقيم * للذين أحسنـوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قـتـر ولا ذلّة أولئك أصحـاب الجنـة هم فيـها خـالدون * والذين كسبـوا السيـئات جزاء سيئةٍ بمثلهـا وتُرهقـهم ذلّة مـا لهم من الله من عـاصم كـأنما أُغــشــيت وجــوههم قـطعـاً من الليل مظلمــاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ يونس : ٢٤ ـ ٢٦ .

على المسلمين أن يعرفوا واقعهم ، ويأخذوا حذرهم ، ويُوحّدوا صفوفهم ، ويستعدّوا لمواجهة خصمهم فإنه لن يُفرّق بين مُلتزمٍ وغيره ، وإن ميّز الآن ، ولن يفرّق بين متعاونٍ معه وواقفٍ في وجهه وإن ميّز الآن ، إن مخططه أن يستأصل شأفة المسلمين جميعاً مجرد انتمائهم للإسلام بل انتماء آبائهم . ولن يكون هذا له بإذن الله ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ الحج : ٤٠ - ٤١ .

الفهرس



التاريخ الإسلامي

١ - قبل البعثة.
٢ - السيرة.
٣ - الخلفاء الراشدون.
٤ - العهد الأموي.
٥ - الدولة العباسية (١).
٦ - الدولة العباسية (٢).
٧ - العهد المملوكي.
٨ - العهد العثماني.
٩ - مفاهيم حول الحكم الإسلامي.

* * *

التاريخ الإسلامي المعاصر:

١٠ - بلاد الشام.
١١ - بلاد العراق.
١٢ - جزيرة العرب.
١٣ - وادي النيل.
١٤ - بلاد المغرب.
١٥ - غربي إفريقية.
١٦ - وسط وشرقي إفريقية.
١٧ - تركيا.
١٨ - إيران وأفغانستان.
١٩ - بلاد الهند.
٢٠ - جنوب شرقي آسيا.
٢١ - المسلمون في الإمبراطورية الروسية.
٢٢ - الأقليات المسلمة في العالم.

سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية

(في آسيا)

١ ـ تركستان الغربية.
٢ ـ تركستان الشرقية.
٣ ـ قفقاسيا.
٤ ـ باكستان.
٥ ـ أندونيسيا.
٦ ـ اتحاد ماليزيا.
٧ ـ فطاني.
٨ ـ المسلمون في قبرص.
٩ ـ المسلمون في الفيليبين ودولة مورو.
١٠ ـ جزر المالديف.
١١ ـ أفغانستان.
١٢ ـ تركية.
١٣ ـ إيران.
١٤ ـ شبه جزيرة العرب.
- عسير.
- نجد.
- الحجاز.
- البحرين والإحساء والكويت وقطر.
١٥ ـ المسلمون في الهند الصينية.
١٦ ـ خراسان.

(في إفريقية)

١ ـ غينيا.
٢ ـ نيجيريا.
٣ ـ الصومال.
٤ ـ موريتانيا.
٥ ـ أريترية والحبشة.
٦ ـ تشاد.
٧ ـ تانزانيا.
٨ ـ السنغال.
٩ ـ أوغندة.
١٠ ـ ليبيا.
١١ ـ السودان.
١٢ ـ جزائر القُمُر.
١٣ ـ المسلمون في بورندي.
١٤ ـ مالي.
١٥ ـ سيراليون.

* * *

* * *